

القسم الثاني

❖ في ما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير والحذف والذكر ❖

❖ والتعريف والتشكيك والاتباع والفصل ❖

كان كلامنا في ما مرَّ عن الجملة من حيث هي واقسامها وارادنا بذلك توجيه خاطر المطالع الى ما بين اجزائها من العلاقات اللفظية والمعنوية علماً منا ان ذلك لا يخلو من فائدة اقلها ترويض الذهن وغرضنا الان النظر فيما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير الى غير ذلك مما ذكر اعلاه ولسهولة البحث رأينا ان نقسم الجملة الى فعلية واسمية فنقول والله المستعان في تسديدنا الى الصواب

❖ الجملة الفعلية ❖

الجملة الفعلية ما تألفت من الفعل ومتعلقاته وهي الفاعل والمفعول به والمجرور والمصدر والزمان والمكان والسبب . وائتمَّ هذه المتعلقات الفاعل فانه لا يستغنى عنه بوجه من الوجوه لتعذر قيام الفعل بنفسه كما لا يخفى بخلاف غيره من بقية المتعلقات فانها كلها قد يستغنى عنها اما بحسب الصناعة اللفظية او بحسب المعنى كما اذا اردت الاخبار عن تعلق الفعل بالفاعل لا غير او طلبت حصوله او تركه من الفاعل المخاطب كقولك ذهب زيد . وأذهب . ولا تذهب . الى غير ذلك من الامثلة

﴿ ترتيب الجملة الفعلية ﴾

﴿ أولاً ﴾

﴿ في ترتيب الفعل ومتعلقاته ﴾

لا بدَّ في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً وأما ما سواه من بقية المتعلقات فالأصل فيها أن تتأخر عن الفعل إلا أنها بحسب الصناعة اللفظية لا يتعين بينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك أن تقدم ما شئت منها على الفعل أو تؤخره على ما تراه مناسباً بشرط أن تحافظ على منع الالتباس وتجنب التعقيد . أما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفته . الغاية من وضع اللغة وأما التعقيد والمراد به كل ما أوجب توقفاً في فهم المعنى المراد أو أوجب للذهن تعباً يمكن تجنبه قلَّ أو كثر فلا تؤذن به البلاغة والطبع أيضاً يقضي بتجنبه ما أمكن .

وهذان الشرطان أعني منع الالتباس وتجنب التعقيد (أو توخى سهولة الفهم) لا يمكن حصرهما في ضوابط معينة إنما يرجع في ذلك إلى مقامات الكلام وإلى نظر الكاتب وخصوصية في فطرته من جهة وإلى معرفة القواعد والتراكيب النحوية المتعارفة والمتفق عليها من جهة أخرى . وارى أن الإطالة فيما يوجبها أو ينفيها ضرب من التكلف لا حاجة بنا إليه وخير من ذلك أن نذكر بعض الملاحظات في شأن ترتيب الفعل ومتعلقاته لا تخلو من فائدة وهي .

(١) قدّم الزمان وما يتعلّق به على الفعل في كل جملة يتبادر فيها

الذهن لداع من الدواعي الى تعيين الزمان كقولك مثلاً «يوم الاربعاء الواقع في ١٠ تموز الساعة ٨ ب.٠ ظ تحفل المدرسة الكلية السورية الانجيلية احفاله السنوي الخ» وسببه انه مع ذكر الفعل الذي يدعو مقتضى الحال الى تعيين زمانه كثيراً ما يتبادر الى الذهن تعيين ذلك الزمان فان اصاب في التعيين وهو القليل النادر اقضى ذلك احضار الزمان في الذهن مرتين مرة قبل ذكر الزمان في الجملة ومرة بعده وهذا اسراف . وان اخطأ كان في ذلك مشقة على العقل في اصلاح خطاه والرجوع الى الصواب وهو من الاسراف ايضاً بخلاف ما اذا ذكر الزمان اولاً فانه لا يكون من العقل على الغالب الا انه يتبهاً لا تتظار الفعل حتى اذا ذكر ادركه من غير تكلف لاحضاره اكثر من مرة او لاصلاح ما اورثه التسرع (٢) قدّم المستفهم عنه مطلقاً كقولك «ماذا فعلت» و«متى اتيت» وهو معلوم

(٣) قدّم ما اردت تعيينه او قصره او تخصيصه اذا كان مقتضى الحال يدعو الى الاختصار او يؤذن به فان مجرد التقديم دليل على ما اردت عند البلاء من غير استعانة بلفظ موضوع له (كلفظة لا غير او العطف بلا الخ) ومثال ذلك قولك «ماء شربت» تعني «شربت ماء لا خمر» وقول القائل بكم قريش كفينا كل معضلة وأمّ نهج الهدى من كان ضليلاً

اي بكم لا بغيركم او دون من سواكم كما لا يخفى . حكي ان بعضهم شتم صاحبه شتماً قبيحاً فاعرض المشتوم عن جوابه فقال الشاتم اياك اعني فاجاب المشتوم وعنك اعرض . وكل ذلك مما نقضي به بديهية الطبع فضلاً عن حسن الذوق

(٤) آخر ذكر العلة او سبب الفعل عن الفعل لان العقل لا يسأل عن سبب الفعل الا بعد وقوعه ولذلك كان ذكر سبب الفعل قبله مما يتأذى منه العقل لما فيه من المخالفة لمقتضى الترتيب الطبيعي الا لغرض كراداة القصر او التعيين على ما مرّ وكأن يكون السبب واقعاً معلوماً من قبل والفعل (او معناه) المسبب عنه اشبه بالنتيجة له فيتقدم حينئذ ذكر السبب وعليه ورد في سفر التكوين «لأنك سمعت اقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك» وكقول رئيس المحكمة مثلاً «بناءً على ثبوت الدعوى المقدمة من فلان على فلان بشهادة الشهود العدول نحكم على فلان بكذا الخ»

ومما يقرب من هذا قول بعضهم

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الا صاغر والا كابر
لا يرجع الماضي اليّ ولا من الباقي غابر
ايقنت اني لا نعا لانه حيث صار الفوم صائر

فانه قدم على الفعل (ايقنت) ما اوجبه من الاسباب الواقعة المعلومة لترتب اليقين عليها بما يشبه ترتب النتيجة على المقدمات وقريب من هذا الباب ما اذا كان الفعل واقعاً معلوماً عند المخاطب والعقل متوجهاً للسؤال عن سبب الفعل فانه في مثل هذه الحالة تقتضي البلاغة ذكر السبب اولاً لاسيما اذا كان للفعل تبعة يجب التنصل منها.

حكى عن بروتس احد عظماء الرومان وصديق قيصر الكبير انه بعد ان قتل قيصر قام فيهم خطيباً واليك مفاد بعض ما قاله ولا فرق هنا بالنسبة الى غرضنا بين ان تكون نسبة هذه العبارات اليه حقاً او ادعاءً قال « لان قيصر كان صديقي فانا ابكي عليه واندبه » ولانه كان ذا حظوةٍ موفقاً فانا اهش لهذا واستعذبه ولانه كان بطلاً شجاعاً فانا اجله واحترمه لكن لانه كان يتشوّف للملك واذلال الرومانيين قت عليه وقتلته » فانظر كيف قدم ذكر السبب في هذه الجمل الاربع اما في الثلاث الاول فلانّ السبب واقع معلوم من قبل واما في الرابعة فلانّ الفعل واقع معلوم دون السبب مع انصراف الخواطر الى معرفته وتوجه غاية المتكلم الى ان يتنصل من تبعة الفعل بذكر السبب الذي يقوم به عذره لدى السامعين (٥) قدّم ما اردت على الفعل محافظةً على الفاصلة في الكلام المسجوع ومحافظةً على الوزن او القافية في الكلام المنظوم (على شرط عدم الالتباس وعدم التعقيد) كآلاية « خذوه فَعْلُوهُ » ثمّ الجحيم صلّوه ثمّ في سِلْسِلَةِ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » وكقوله

ما بذلت ما بهيجودُ بدّ ولا تهدي لما يقول فم
وكفولهُ ايضاً وما كل بمعدور يجل ولا كلّ على بجل بلام
وكفولهُ ايضاً وجدثوهم نياماً في دماكم كانّ فنلاكم ايام فجعوا
وكقول الآخر عن المرء لانسأل وسل عن قرينة فكلّ قرين بالمقارن بفندي

وهذا كثير شائع

(٦) توخّ المطابقة بين الجمل المتعاطفة فقدم في المعطوف ما هو

مقدم في المعطوف عليه واخر هنا ما هو مؤخر هناك كقولك « انه كان لا يؤمن يوم الحشر العظيم ولا يحض على طعام البائس المسكين » فاذا قلت مثلاً انه كان يوم الحشر العظيم لا يؤمن قتل وعلى طعام البائس المسكين لا يحض وقد تكون المطابقة بين طرفي كلام واحد كقول الخوارزمي « ولكن الكبير من الكبير يصغر كما ان الصغير من الصغير يكبر » فاذا قلت ولكن الكبير يصغر من الكبير قتل كما ان الصغير يكبر من الصغير . واعلم ان متعلقات معنى الفعل كالصفة والمصدر يجري عليها مع الصفة والمصدر ما يجري على متعلقات الفعل معه مما مر بك واللييب اذا احسن اعتباره فيما ذكرناه كفاه ذلك عن مزيد التطويل وكثرة الامثلة

﴿ ثانياً ﴾

﴿ في ترتيب متعلقات الفعل فيما بينها ﴾

ليس بين متعلقات الفعل ترتيب مخصوص يقتضي متابعته فلك ان تقدم ما شئت او تؤخر ما شئت المفعول به على الفاعل نحو اذا زان جسمك عقلك فانت الراجح وبالعكس نحو اذا زان عقلك جسمك الخ . والمجورور على الفاعل او المفعول به وبالعكس نحو :

اني وان قصرت عن همي جدتي وكان مالي لا يقوى على خلفي
لتارك كل امر كان يلزمني عاراً وبشرعي في المنهل الرنق

وكقول الآخر

بعاني في الدين قومي وانما دبوني في اشياء تكسبهم حمدا

والظرف على احد هذه وبالعكس على ما تراه مناسباً نحو
وكلُّ شديدةٍ تزلت بقومٍ سيأتى بعد شدتها رضاء
وكقول الآخر

ومتى نخف يوماً فساد عشيرةٍ نصلح وإن تر صالحاً لا نفسد
الآن المناسبة ينظر معها الى الاغراض الآتية وهي

(١) مراعاة المطابقة او المقابلة بين الجمل المتعاطفة او بين طرفي
كلام واحد وهو كثير في كتابات المترسلين نحو « واسنقرت امور سجستان
على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه »
وانبسطت بالعز يداه وباعه وتموجت بذخائر الاموال رباعه وقلاعه »
وكقولك « عاشروا في صغركم من تحترمون وفي كهولتكم من تحبون » ونحو
« لو خاف ابن آدم ربه في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في
الدارين جميعاً » وكقولهم « اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً
حيث لا تحب » فاذا قلت مثلاً فطالت ايامه عليها فقل وطارت اوامره
واحكامه فيها وكذلك اذا قلت لو خاف ابن آدم في الباطن ربه فقل كما
يخاف في الظاهر عبده وهكذا

(٢) المحافظة على الفاصلة او على القافية او على الوزن والقافية وهو

كثير شائع

(٣) المحافظة على حسن الرصف ونريد بحسن الرصف مراعاة
الموافقات الموسيقية بين الالفاظ بحيث تهيء مؤلفة منسجمة لاقلقلة
بينها ولا وقفة تحس عند التلفظ بها وهذا مما يدركه السامع بسمعه والمتكلم

بلفظه . واعلم انه قد يتفق حسن الرصف مع المحافظة على الفاصلة في الكلام المسجوع تارة كالاية نحو «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً فاسلكوه» ومع المطابقة او المقابلة اخرى نحو «عاشر من الناس الصالحين وتجنب منهم المدهين» ونحو اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب وقد يكون احياً امراً اخر دونها «نحو على حسب نياتكم ترزقون» او زائداً عليها نحو «الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرة وذكرى وداناً بزوالهم على انه الباقي الذي سيعيدهم تارة اخرى» (مقدمة تاريخ اشور وبابل) فان وضع لفظة (لنا) بعد (جعل) لا بعد (عبرة) مع انها من صلتها وتأخير (بزوالهم) عن الفعل (دانا) جميع ذلك امر زائد على المحافظة على الفاصلة الا انه داخل تحت حسن الرصف كما لا يخفى على المتأمل . وحسن الرصف هذا يمكن اعتباره في تقديم معمولات الفعل عليه او تأخيرها عنه فقدم او أخر على مقتضاه بشرط ان لا يكون هنالك داع اخر اهم منه يدعو الى التقديم او التأخير

فاذا راعيت هذه الاغراض فقدم ما شئت واخر ما شئت على شرط ان لا يقع التباس في الجملة ولا تعقيد . اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه ولذلك لا يصح في جملة (لو اشتريت لك بدراهم لحماً تاكلينه) تأخير المجرور الاول وتقديم الثاني عليه ولا في جملة (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) ان تؤخر المجرور اصلاً لان التأخير يؤدى في الحالين الى الالتباس واما التعقيد فان بلغ الى حد يقضي بالتروى وإطالة الفكرة قبل فهم المعنى المراد كقول المتنبي

قيل انت انت وانت منهم وجدك بشر الملك الهام
وما على شاكلته فممنوع ايضاً والبلغاء لا يعدونه من قبيل الكلام
العربي بل هو عندهم اشبه بالفارسية والرومية منه بالعربية . وان بلغ كما
دون ذلك فمكروه عندهم لا يرتكب الا لضرورة من اقامة وزن او محافظة
على قافية او لرغبة احياناً في اليجاز . وان كان على اقل درجاته كقوله
« كساحله ذا الحلم اثواب سدود » فتسامح فيه اذا صحبه غرض من
الاغراض المارة والا فلا . ونعود هنا فنقول ان موجب التعقيد اللفظي في
الغالب انما هو مخالفة التراكيب النحوية المشهورة والعدول الى المذاهب
الضعيفة او الشاذة فاعلم ذلك

❖ ثالثاً ❖

❖ في ترتيب توابع متعلقات الفعل ❖

قد عرفت ما هو المراد بمتعلقات الفعل بقي ان تعرف ما المراد من
توابعها وما هو الترتيب بينها . اما توابعها فيراد بها الاستثناء والحال والتمييز
والنعت والتوكيد والبدل والعطف عطف البيان وعطف النسق . واما الترتيب
الغالب بينها فان ينقدم النعت على جميع ما سواه ثم التوكيد ثم ينقدم
البدل او عطف البيان على ما بقي والحال والتمييز على المعطوف وهذا
على المستثنى الا انه اذا كان هنالك عدة نعوت لمتعلق واحد فقدم اهمها
واذا استوت في الاهمية فقدم اخصرها او اقفاها الفاظاً على ان المرجع المعول
عليه بعد الشرطين الاصلين انني منع الالتباس وتجنب التعقيد انما هو

مراعاة حسن الرصف فقدم واخر وفقاً لمقتضاه
ولنضرب لك مثلاً هذه الجملة « وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكنم ايمانه أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » فانها اشتملت على ثلاثة
نعتوت فقدم اهمها واخصرها وهو (مؤمن) وتأخر النعت الجملة (يكنم
ايمانه) منعاً للالتباس ومراعاة لحسن الرصف معاً ولزيادة الايضاح نذكر
لك صور التراكيب الممكنة فيها

- (١) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكنم ايمانه أنقتلون الخ
- (٢) وقال رجل مؤمن يكنم ايمانه من آل فرعون
- (٣) وقال رجل من آل فرعون مؤمن يكنم ايمانه
- (٤) وقال رجل من آل فرعون يكنم ايمانه مؤمن
- (٥) وقال رجل يكنم ايمانه من آل فرعون مؤمن
- (٦) وقال رجل يكنم ايمانه مؤمن من آل فرعون

فمن هذه الصور الست الثانية والخامسة ممنوعتان لوقوع الالتباس فيهما
والثالثة والرابعة والسادسة جائزات بحسب اللغة الا ان البلاغة تنكرهن
للقدم غير الاهم فيهن على الاعم ولخالفتهن حسن الرصف بخلاف الجملة
الاولى فانها جامعة لجميع شروط البلاغة فتوخ فيما تكتب سائر الاعتبارات
المعتبرة فيها ان قدرت

واما المعطوفات فيستحسن بالقييد منها نعت او يتعلق آخر من
تمام معناه ان يتأخر عن المطلق او ما هو اقل نقيداً منه كقول الشاعر
اذا نازع النعم الاحاديث لم يكن عيباً ولا رباً على من يفاعد

وكقولك " تدخل الآفات على ارباب القلوب والاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم " فانه يمكنك ان تقول تدخل الآفات على الاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم وارباب القلوب الا ان الترتيب الاول اوقع في النفس واقرب للفهم لاسيما اذا لم يعد حرف الجر مع المعطوف كما لا يخفى على ان هذا الاستحسان غير ملتزم به ويمكن للكاتب الخروج عنه لاعتبارات معنوية لا تخفى على حسن ذوقه كتقديم الاهم على غيره والسابق على اللاحق ولمراعاة الترتيب المقرر في الذهن اما بحسب مطابقته للمواقع او منظوراً معه للتدريج من الادنى الى الاعلى او من الاقل الى الأكثر او لاعتبارات لفظية كمرعاة حسن الرصف في النثر والمحافظة على الوزن والقافية في الشعر وهو مما لا يخفى على انه اذا تعارض اعتباران احدهما معنوي والاخر لفظي فالمرجح مراعاة المعنوي منها في اكثر الاحيان والحكم المنبع في مثل هذه الحال انما هو حسن الذوق فعليك به . واعلم ان مراعاة هذه الاعتبارات المعنوية واللفظية لا تختص بمتعلقات الفعل ولا بتوابع متعلقاته انما هي عامة فيها وفي غيرها من متعلقات الجملة الاسمية وتوابع متعلقاتها فقس على ما مر بك اشباهه ونظائره فانها لا تخفى على المتدبر

﴿ مطلوب ﴾

انتقد الامثلة الآتية و بين الجائز من الترتيب غير الترتيب المذكور فيها واذكر الانسب منها وسبب الانسبية

(١) وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال له ابراهيم اتريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل ذلك ابداً

(٢) واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعرّ بده وباعه وتموجت بذخائر الاموال رباعه وقلاعه وانقطعت عن بخارى مواد خدمته وانضاف الى ذلك استهائته بالاوامر الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده

(٣) لما بويع الصديق رضي الله عنه بالخلافة اصبح اخذ الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد اقمتم لخلافة النبوة فقل لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى

(٤) يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده . وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسباع اولازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض



﴿ في حذف بعض متعلقات الفعل ﴾

﴿ حذف الفاعل ﴾

اعلم ان النحاة يميزون حذف سائر متعلقات الفعل ما عدا الفاعل فاذا لم يكن اسماً ظاهراً كان عندهم ضميراً بارزاً او مستتراً . والذي يؤخذ من تمثيل البيانين نحو « واستوت على الجودي » حتى توارت بالحجاب » انهم يحذفونه ايضاً وهو الحق لكن لا بد عند الحذف من دليل عليه وعلى المحذوف وغرض يتعلق بالحذف شان سائر المحذوفات . ولنذكر لك الان دليل الحذف اللفظي فمن ذلك

(١) علامة التانيث كقوله

اما وئي لا يغني التراث عن الفتي اذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر
اي النفس فان التاء تدل على ان الفاعل مؤنث واخصاص الحشرة يعين ما هو ومثله قول الآخر

زارت عليها للظلام رواق ومن النجوم فلابد ونطاق

اي الحبيبة فان تاء التانيث وكون المقام مقام نسيب احدهما يدل على المحذوف والآخر يعين ما هو فان قلت لم لا تجعل الضمير المستتر فاعلاً قلت جعله فاعلاً انما هو من اقامة دليل الشيء مقامه وهذا لا يمنع من كون الفاعل وهو ما يرجع اليه هذا الضمير على مقتضى حكمه محذوفاً كما لا تخفى

(٢) ضمير الغائب البارز المرفوع . كقوله

بانت سعاد فقلبي اليوم منبول منم اثرها لم يند مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الأاغز غضبض الطرف مكحول
فان فاعل رحلوا محذوف تقديره «اهلها» او عشيرتها «دل عليه
الضمير البارز وعينه قرينة الحال

(٣) بناء الفعل للمجهول وهو دلالة وضعية على حذف الفاعل والمهم
في هذا الموقف ان ننظر الى اغراض الحذف ثم نردف ذلك ببيان ما بين
المجهول والمطاول من الفرق في الاعتبار والله الموفق الى الصواب

❖ اغراض الحذف ❖

(١) عدم العلم بالفاعل الحقيقي كما في نحو قولك وافتتحت الاستانة
سنة ١٤٥٣ هذا اذا كنت لا تعرف اسم السلطان الفاتح وكقولك سرق
بيت زبد

(٢) ارادة الاختصار . ولا يجوز لك ذلك الا اذا كان الفاعل
مشهوراً نحو «خلق الانسان ضعيفاً» او متعيناً نحو «واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها» او اذا كان متوجه كلامك والمقصود منه لا يهم فيه
معرفة الفاعل كقوله

ان كونبوا او لقوا او حوربوا وجدوا في الخط واللغظ والهيجاء فرسانا
وكقولك مثلاً في عرض الكلام عن مدينة بابل «ولم يات عليها
القرن الخامس الا كانت قد هدمت اسوارها ودرست معالمها وعفيت
قصورها وهياكلها»

(٣) محافظة على وزن او قافية او مراعاة لفاصلة فضلاً عن ارادة الاختصار ولا بد هنا ايضاً من كون الفاعل مشهوراً او متعيناً على ما مرَّ بك مثال ذلك قوله

خلفوا وما خلفوا لأكربة فكأنهم خلفوا وما خلفوا
رزقوا وما رزقوا سماج يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا
وكقول الآخر

ما المال والاهلون الأمارة ولا بد يوماً ان تردّ الودائع
وكقولهم من طاب سريرته . حمدت سيرته

فان المحافظة على الوزن والقافية والفاصلة واضحة في الامثلة كما لا يخفى
(٤) اتباعاً للاستعمال كقولهم توفي فلان وجنّ وخولط في عقله
ورنّخ عليه واغشي عليه وأمتقع لونه وأبتقع وأنتقع وأستقع وأستهتر
الرجل بكذا وامثال هذه المحفوظات . وقد يحذف الفاعل لاغراض اخرى
نحوفك من الفاعل او محافظة على شرف المفعول به اذا كان في ذكر
الفاعل ما يغضُّ من كرامته مما لا تخفى على المتفطن لها . وجميع هذه
الاغراض قد ذكرها النحاة في مطولاتهم فاحتفظ بها حيثما وجدت

— ﴿ الفرق بين المجهول والمطواع ﴾ —

واما الفرق بين المجهول والمطواع كقولك محي الشيء وانحى ودرس
الرسم واندرس وكسر الزجاج وانكسر فهو ان المجهول يعتبر فيه التفات
الذهن الى الفاعل المحذوف لغرض من الاغراض المارة . واما المطواع

فيعتبر فيه حصول الاثر في المفعول (اي الفاعل اللفظي) من غير التفات الى الفاعل السببي ولزيادة الايضاح نقول لك ان الفاعل قد يكون مباشراً وقد يكون سببياً وزيد بالفاعل المباشر ما كان كزيد في قولك ضرب زيد عمراً وكسر الزجاج وأكل وشرب ونظر وسمع الخ وزيد بالفاعل السببي ما كان سبباً لحصول الفعل كالهواء والماء والصاعقة او غير هذه من الفواعل الطبيعية والكيمياوية التي لا يظهر لفعالها اثر ظاهر محسوس الا مع تراخي المدة . والغالب في الفاعل السببي ان يقطع عنه النظر فيسند مفعوله الى المطاوع بصورة الفعل والفاعل كقولك اعنى الرسم واندرس وتعنى وهلم جراً . واذ علمت هذا قلنا ان المجهول ابداً يلتفت معه الذهن الى الفاعل المباشر فيلحظ وجوده انما يحذف لغرض من الاغراض التي مرّت بك واما المطاوع فينظر معه الى حصول الاثر في المفعول مع صرف النظر عن الفاعل السببي . وعليه فاذا قلنا مثلاً « اما البابليون فمحيث اثارهم ودرست معالمهم » كان الفاعل المباشر ملحوظاً عند العقل وانما حذف لغرض كارادة الاختصار او عدم معرفة الفاعل على التعيين فاذا قلنا اما البابليون فامحت اثارهم واندرست معالمهم كان النظر مصروحاً الى حصول الاثر من الامحاء والاندراس فقط واذا امتشرف العقل الى معرفة الفاعل قدّره من قبيل السببي بحسب دلالة القرائن عليه . وانت اذا تتبعت افعال اللغة وجدت ان الذي يسند منها الى الفاعل المباشر فقط كالضرب والقتل والاكل والشرب والاخذ والاعطاء والنظر والسمع والشم والذوق واللمس والكتابة والرمي والفهم والتأمل واشباهها لا مطاوع لها بخلاف غيرها كالقطع والمد

والكسر والمحو والدروس فإنَّ مطاوعاتها مشهورة متعارفة . وبعبارةٍ أخرى نقول أنَّ الفعل الذي لا يسند إلا إلى الفاعل المباشر مع عدم إمكان اعتبار المباشر سبباً لحصول الفعل لا ترى له مطاوعاً أصلاً في المنقول اليُنا من الأفعال وإذا تكلفت له مطاوعاً رأيت الذوق ينبو عن استعماله بخلاف ما يسند إلى المباشرة وتارة يسند إلى السببي أو يمكن إسناده إليه أخرى فأنك إما أن ترى له مطاوعاً في المنقول اليُنا عن أهل اللغة أو ترى أن الذوق لا ينبو عن استعمال المطاوع له إذا دعت الحاجة إلى استعماله على أن الفعل الذي يسند إلى المباشرة وتارة إلى السببي أخرى إنما ترى له مطاوعاً باعتبار إسناده إلى السببي ويتعاضى عليك المطاوع باعتبار إسناده إلى المباشر مثاله ضرب زيدٌ عمرًا فإنه يتعاضى عليك المطاوع لهذا الفعل بهذا الاعتبار (أعني إسناده إلى الفاعل المباشر) بخلاف ما إذا قلت " ضربتُ الريح السُتروالأمواج السفينة " فإن مطاوعه بهذا الاعتبار مشهور متعارف لأنك تقول اضطرب السُترواضطربت السفينة وإليك مثلاً آخر " داس الزرع يدوسه ودرسه يدرسه " فإنه لا مطاوع لهذين الفعلين بهذين الاعتبارين كما لا يخفى ثم لما كان الفعل (داس) لا يسند إلى السببي أصلاً لم يكن له مطاوع أصلاً ولما كان درس يسند إليه كقولك " درستُ الريح الرسم " كان له بهذا الاعتبار مطاوع وهو منقول متعارف فإنه لا أشهر من القول بأن درس الرسوم كما تعلمه بل قد يعتبر في فاعل درس المباشر معنى السببية أيضاً فلا يَأْبَى الذوق حينئذ استعمال مطاوعه من هذه الحيثية كاندراس الزرع

وخلاصة القول ان المجهول ينبغي ان يلتفت معه الى الفاعل المباشر باعتبار انه مقصود للتكلم وانما عدل عن ذكره للغرض وانما المطاوع فلا يلتفت معه الا الى حصول الاثر فقط وان كان قد يمكن فهم الفاعل السببي منه وتعيين نوعه احيانا للدلالة قرائن الاحوال عليه . فهذا هو الفرق بين المجهول والمطاوع فاعلمه . واعلم اننا قد اطلنا الكلام في هذا الصدد لما فيه من تنبيه الخاطر وحمل الذهن على التأمل والاعتبار في مدلولات الافعال والفرق بينها وهو من غايات علم المعاني على ما نظن والله اعلم

❖ تنبيه ❖

اعلم ان الفاعل السببي اذا تعورف استعماله مسنداً اليه فعل بخصوصه كدرست الريح الرسم وعفنه اصبح كلفاعل المباشر في ان الذهن يلتفت اليه عند بناء فعله للمجهول ويقدره على مثل ما يقدر الفاعل المباشر . وعندي ايضا ان كل فعل لمفعوله قابلية التأثيره وفقاً لطبيعته وخصوصية في فطرته او تركيبه يجوز فيه استعمال مطاوعه قياساً سواء نقل الينا المطاوع في كتب اللغة ام لم ينقل وسواء كان الفعل مستعملاً في الحقيقة ام على سبيل المجاز كمد الحديد ومطله وطرقه وطرقه ورققه وكركيت زيدا ورفعته ورعنه وخوفته وكخففت الشيء وحطاطته ودققته ومحوته واخفيتها وفضضته ورضضته وفصلته وفصّته وفصّيته وقدت الدابة وجررتها وهلم جرا



✽ في حذف المفعول به ✽ —

إذا أسند الفعل المتعدي الى الفاعل فان كان الغرض اثباته لفاعله او نفيه عنه مطلقاً (اي من غير اعتبار عموم في الفعل بأن يراد جميع افراده او خصوص بأن يراد بعضها . ومن غير اعتبار تعاقبه بمن وقع عليه فضلاً عن عمومته او خصوصه) نُزِّلَ الفعل المتعدي حينئذ منزلة اللازم ولم يقدر له مفعول لان المقدّر بواسطة دلالة القرينة كالمذكور نحو قوله « والله يعلم وانتم لا تعلمون » اي توجد له حقيقة العلم ولا توجد لكم . وكقولك « جارك نظيرك فان له اذنًا يسمع بها كما تسمع وعينًا يبصر بها كما انت تبصرون » يابس بها كما تلبس الخ » وقد ينزل المتعدي مطلقاً منزلة اللازم ثم يجعل كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص كقول البحري

شجو حساده وغبط عداه ان يرى مبصرً ويسمع واع

اي ان يكون ذور رؤية وذو سمع وكفى بذلك عن انه اذا وجد البصر لمبصر والسمع لسامع ابصر محاسن هذا الممدوح وآثاره وسمع بذكر اخباره ومناقبه ادعاءً بالملازمة بين مطلق الرؤية وروية آثاره ومحاسنه وكذا بين مطلق السماع وسماع اخباره دلالة على ان آثاره واخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع . واما اذا اسند الى الفاعل باعتبار تعاقبه بالمفعول فلا بد حينئذ من ذكر المفعول فاذا حذف لفظاً كان حكمه حكم المذكور لانه مقدر معنى على ان حذفه لا يكون الا لغرض ومع وجود قرينة تدل على المحذوف

ايضاً فاذا وجدت اقربته ولم يوجد الغرض لحذفه او وجد الغرض ولم توجد
الاقربته ففي كلتا الحالتين لا يصح الحذف . واما اغراض الحذف فنذكر لك
منها ما هو اكثر شيوعاً واعم وقوعاً فمنها

(١) الايضاح بعد الابهام كما في فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا
وقع شرطاً نحو « من شاء فليؤمن ومن شاء كفر » اي من شاء الايمان ومن شاء
الكفر فانك لما قلت من شاء ابهمت المفعول الذي يتعلق به فعل المشيئة
فتبيأت النفس لطلبه ما هو فلما ذكرت الجواب اوضحت ما كنت ابهمته
قبلاً وادركته النفس بعد الطلب فسرنا ذلك وفيه فضلاً عن ذلك ما فيه
من الاختصار

واعلم ان مفعول فعل المشيئة هذا يقدر بحسب دلالة الجواب عليه
مطلقاً مع المطلق ومقيداً مع المقيد . وبعبارة اخرى انك اذا اردته
مطلقاً تركت الجواب من غير تقييد كقولك « لو شئت لقلت ولو اردت
لذهبت » اي لو شئت ان اقول لقلت ولو اردت ان اذهب لذهبت واذا
اردته مقيداً قيدت الجواب وفقاً لما تريده كقولك « لو شاء الله لهدى زيدا
الى الايمان » فان التقدير لو شاء الله ان يهدي زيدا الى الايمان لهداه اليه .
واذا علمت هذا قلنا لاحاجة لما استثناء البيانين في هذا الموقف (اعني
الايضاح بعد الابهام) من ان مفعول فعل المشيئة يجب ذكره معه اذا كان
تعلقه (اي فعل المشيئة) به (اي بالمفعول) غريباً كقول الحري يرثي ابنه

ولو شئت ان ابكي دماً لبكيت عليه ولكن ساحة الصبر اوسع
واعدته ذخراً لكل مله وسهم المنايا بالذخائر مولع

فان تعلق فعل المشيئة بيبكاء الدم فعل غريب فلا بد من ذكر المفعول لينقّر
في نفس السامع ويأنس به. واما قوله

ولم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت تفكراً

فليس منه اية مما ترك فيه حذف مفعول المشيئة بناءً على غرابة تعلقها
به (انتهى عن المطول شرح التخليص للعلامة التفتازاني طبع الاستانة
وجه ١٩٣ و ١٩٤) لان البيت الاول ليس من قبيل الايضاح بعد الابهام
فان المقام مقام تفجع لا مجال فيه للابهام ولا تؤذن به الحاسيات انما هو من
قبيل ايقاع الفعل صراحة على نفس مفعوله كما لا يخفى على المتأمل ولو انه
من قبيل الايضاح بعد الابهام فما المانع من ان يقول « ولو شئت لبكيت
دماً عليه ولكن ساحة الصبر اوسع » أليس انه كان يُقدّر المفعول « ولو شئت
ان ابكي دماً الخ » وفقاً لدلالة الجواب وكذلك البيت الثاني فانه والبيت
الاول من باب واحد في انها ليسا للايضاح بعد الابهام بل لايقاع الفعل
على نفس مفعوله صراحة كما مر . والفرق بينهما في ان المراد بالبيت الاول
ولو شئت ان ابكي دماً لبكيت عليه على ارادة تقييد البكاء بمفعوله اعني
لفظة (دماً) بخلاف البيت الثاني فان الشاعر لم يرد ان يقول ولو شئت ان
ابكي تفكراً لبكيت بجعل (تفكراً) قيداً لأبكي بل قصد الى ان يقول ولو شئت
ان ابكي ما بكيت الا التفكير لعدم بقاء غيره من الدمع او الدم وهذا مما يدل
عليه صدر البيت فانه قال فيه ولم يبق مني الشوق غير تفكري ففهم منه نفاذ
دمعه ودمه ثم ابرز التفكير بصورة المحسوس وادّعى انه مما يبكي كالدمع او الدم
وانه لو اراد البكاء ما يبكي شيئاً غيره لنفاذ مادة الدمع والدم وبقاء التفكير

والحق انه لا يلزم من وقوع فعل المشيئة شرطاً ان يقصد معه دائماً
الايضاح بعد الابهام حتى يلزم حذف مفعوله فيقضي الحال الى تكلف
الاستثناء الذي استثناء العلامة التفتازاني في بيت الخريبي وفاقاً لما تكلفه
صاحب التلخيص بل قد يقصد ذلك احياناً نحو «فلو شاء لمداكم اجمعين»
وقد لا يقصد على ما هو بيت الخريبي وبيت ابي الحسن علي بن احمد
الجوهري المتقدم ذكرهما والله اعلم

(٢) ارادة الاختصار نحو «والله يحو ما يشاء ويثبت» ونحو
«ويغفر لمن يشاء» وكقولك «رعت الماشية» اي يحو ما يشاء ويثبت
ما ينشاء ويغفر الذنوب ورعت عشياً

(٣) التعميم مع الاختصار نحو «انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به» اي ولا اشرك به احداً او شيئاً من المعبودات على انواعها وقولهم فلان
لاييدي ولا يعيد

(٤) المحافظة على وزن او قافية كقوله

بناها فاعلى والفنا بفرع الفنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكقول الآخر

أخالي اما كل شيء سأله فيعطي وأما كل ذنب فيغفر
وكقولوا أفي كل يوم تحت ضنبي شويعر ضعيف بفار بني قصير يطاول
وكقول الآخر

وأقضي على نفسي اذا الامر نائي وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضي
ونحو «فذكر ان نعت الذكرى سيد كرم من يخشى»

(٥) للاختصار مع تخيل صورة وقوع الفعل كقوله
وكم زدت عني من نحامل حادث وسورة أيام حزن الى العظم
فان السامع اذا سمع حزن الى العظم تخيل كأن هنالك سكيناً او
ما شاكلها تمضي في اللحم الى العظم وقد عدّه بعضهم من قبيل دفع ابتدار
الذهن الى غير المراد بناءً على انه لو قال حزن اللحم توهم أولاً ان المقصود
الاخبار بحز اللحم من غير نظر الى انتهائه الى العظم

(٦) طالباً لا بقاء الذهن متنبهاً الى أن يأتي على آخر الجملة كقوله
ولقد طلبنا فلم نجد لك في السو دد والجد والمكارم مثلاً
فانه لو قال ولقد طلبنا لك مثلاً الخ لا مكن احتمال ان يقف الذهن
عند ذكر المفعول به ويتلوه او يغفل عما بعده وذكر الامام جلال الدين
السيوطي ان الغرض من حذفه هنا ارادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن اتباع
الفعل على صريح لفظه اظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه والله اعلم

(٧) لا ستهجان ذكره كقول عائشة « والله ما رأى مني ولا رأيت
منه » اي العورة . وقد يحذف لا غرض اخرى كما رادة اخفائه او التمكن من
انكاره ان مست الحاجة او ادعاء تعينه وقد تركنا التمثيل لها لانها اغراض
اكثر ما تأتي في المخاطبات الشفاهية ويتنبه لها بكثرة المزاولة وهي في اكثر
مواقفها لا تخفى على القطن السريع الملاحظة وان خفيت على غيره كثيراً
واعلم ان الحذف لا يختص بالمفعول به بل يتناول غيره من متعلقات الفعل
كالجور وخلافه فانها تحذف اذا وجد للحذف غرض من الاغراض
المارة مع قيام قرينة تدل على المحذوف فلا يذهب عنك

❖ ❖ ❖ خاطر ❖ ❖ ❖

❖ في تأثير النفي في الجملة الفعلية ❖

وقبل الشروع في موضوعنا هذا لآزى بدأ من التنبيه الى الامور
الآتية وهي

(اولاً) ان النفي لا يتوجه الا الى الاسناد والاسناد يقضي الحدث
او الفعل لفظاً او معنى فاذا وجد الفعل لفظاً في الجملة فهو اولى بدخول حرف
النفي عليه فاذا دخل على غيره من متعلقاته فلا بدّ لذلك من غرض وهذا
الغرض ان لم يكن نفي الفعل عن المتقدم واثباته لغيره من جنسه كان الاهتمام
به وارادة ان النفي متوجه اليه من حيث انه قيد لمضمون الجملة مع قطع
النظر عن ارادة اثبات الحكم لغيره من جنسه . ولنضرب لك مثلاً
تستأنس به للمقصود نحو «ما في بيت خالدٍ رأيت زيداً اليوم» بتقديم الظرف
على الفعل فان الغرض هنا ان لم يكن نفي رؤية زيد اليوم في بيت خالد
واثبات انها كانت في بيت عمرو مثلاً كان لنفي الرؤية اليوم انها كانت
في بيت خالد مع قطع النظر عن اثباتها في بيت آخر غير بيت خالد وهذا
ما نريد بقولنا لغيره من جنسه

(ثانياً) القيد متأخراً عن المقيد به مطلقاً فاذا اجتمع في الجملة
متعلقان من متعلقات الفعل رتبتهما واحدة كأن يكونا زمانين او مكانين
او سبيين او غير ذلك فلا بد من ان تريد تقييد احدهما بالآخر والاوّل

ان يكون المتأخر منها قيداً للمقدم وبعبارة اخرى فالاولى ان تؤخر ما هو في اعتبارك قهراً لصاحبه . وهذا يجب مراعاته في النفي أكثر مما في الايجاب ولا يجوز لك ترك دلالة هذه الحاصة الاً مع قيام قرينة اوضح من الشمس على خلافها

(ثالثاً) الفعل يدل وضعاً على الزمان فاذا عدت فقيدته بزمان مخصوص فلا بد من ان يكون مقصودك تقييد مضمون تلك الجملة به والا كان ذكره عبثاً مثاله « ما جاء زيد الى بيت اخيه » فان الزمان المدلول عليه بالفعل جاء يستغرق الماضي باسره من غير ترجيح لاحد اجزائه على الآخر ولذلك اذا « قلت » ما جاء زيد الى بيت اخيه البارحة كان مرادك تقييد عدم مجيئه الى بيت اخيه بالبارحة لا بغيرها من الازمنة اي ان النفي متوجه الى مضمون الجملة باعتبار هذا القيد فقط وهو ظاهر وهكذا اذا قلت لا ترى زيدا غداً كان المراد تقييد عدم رويتك زيدا بالغداً او توجه النفي الى قيد الزمان دون المفعول به

واذا علمت ما قدمناه من هذه التنبيهات الثلاثة فلنتقدم الآن الى ما نريد الكلام فيه من تأثير النفي في الجملة الفعلية وبالله التوفيق يراد بالجملة البسيطة المطلقة الموجبة كقام زيد اثبات المسند للمسند اليه فاذا تقدم النفي على هذه الجملة كان المراد نفي المسند عن المسند اليه كقولنا « ما قام زيد » على انك اذا قيدت هذه الجملة بقيد من القيود كان النفي موجهاً الى القيد الزائد فقط لا الى الاسناد ونعني بذلك انه لا يتحقق نفي الاسناد الاً مع تحقق ذلك القيد مثاله جملة رأيت زيدا فانك اذا

ادخلت النفي عليها فقلت « ما رأيت زيداً » كان المراد نفي رؤية زيد لا نفي الرؤية مطلقاً لتوجه النفي اليها باعتبار القيد الزائد . وكذلك اذا قلت « مارايت زيداً صادقاً » كان المقصود نفي رؤية زيد من حيث تلبسه بالصدق لا نفي مطلق رؤيته فاذا قلت مارأيت اليوم زيداً صادقاً توجه النفي الى قيد الزمان بمعنى انك مارأيت صادقاً اليوم فلا يعارض قولك هذا قولك رايت زيداً صادقاً البارحة ولا ينافيه . ثم اذا قلت « مارايت زيداً صادقاً فيما قاله » عن عمرو « توجه النفي الى المجرور (عن عمرو) فلا ينافي قولك هذا قولك « رايت زيداً صادقاً فيما قاله عن بكرٍ او خالدٍ او عبد الله » ولا يعارض صدق النفي فيه ولا كذبه . فاذا قلت « ما رأت زيداً صادقاً فيما قاله الان عن عمرو » توجه النفي الى الزمان بمعنى انك نفيت رؤيتك زيداً صادقاً فيما قاله عن عمرو (الان) لا في غيره من الازمنة . وهلم جراً

ولنمثل لك على صورةٍ اخرى فنقول . اذا قلت « ما جاء زيدٌ » توجه النفي الى الاسناد اي ان المجيء وهو المسند منفي عن زيد وهو المسند اليه . فاذا قلت « ما جاء زيدٌ اليوم » توجه النفي الى الزمان . ثم اذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الحال فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً اليوم » او « ما جاء اليوم زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الزمان وكذلك اذا قلت ما جاء زيدٌ راكباً فرساً فالنفي موجه الى (فرساً) لا الى مجيئه ولا الى مجيئه راكباً فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً فرساً حمراء » توجه النفي الى الصفة (حمراء) فاذا زدت على الجملة قيد الزمان توجه النفي اليه على

الاعتبار الذي مرَّ بك . وهكذا يتمشى الحكم مع القيد بالسبب والمكان والعطف الا ان القيد بالزمان مهما ذكر في الجملة المنفية فالأولى ان يتوجه اليه النفي دون ما سواه من بقية القيود الا اذا قامت قرينة على خلافه . ومن القرائن اللفظية تقدم القيد على الفعل راجع التنبيه الاول واما القرائن المعنوية والتي يقنضها الحال فلا ضابط لها كما تعلم

ونزيد ايضاً انه اذا تقيّد الفعل بجميع قيوده ما عدا الزمان توجه النفي الى السبب فاذا لم يذكر السبب فالى المكان فاذا لم يذكر المكان فالى المفعول به فالى المعطوف ما لم تدلّ قرينة على خلاف ذلك فينصرف النفي الى ما تقنضه تلك القرينة . وسببه على ما ارى ان الزمان المدلول عليه بنوع الفعل يتسع لوقوع الفعل المقيّد بالمكان والسبب اكثر من مرة وهذا اطلاق فاذا ذكر قيد الزمان مع قيد المكان والسبب قيد الفعل معها لمرة بعينها كما لا يخفى على من تأمل فكان اذن قيداً زائداً على بقية القيود مقيداً لها فتوجه اليه النفي دون غيره ولزيادة الايضاح نمثل بقولنا « ذهب زيد الى دمشق لزيارة اخيه البارحة » فانه لا يخفى ان الزمان المدلول عليه بلفظ الفعل يتسع لتكرار هذا الذهاب الى دمشق لزيارة اخيه اكثر من مرة فلا يتعين ايُّ المرات يراد بهذه الجملة الا اذا تقيّد بلفظ البارحة كما ترى . فاذن قيد الزمان قيدٌ للفعل مخصص له باعتبار اضافته الى مكانه وسببه معاً والنفي المتقدم على الفعل يتوجه الى القيد المخصص كما مرَّ فاذن يتجه الى الزمان عند الاطلاق . ثم اذا قلنا « ذهب زيد الى الشام لزيارة اخيه » فمن الواضح ان السبب قيد للفعل باعتبار اضافته الى المكان مخصص

لها فيتعين توجه النفي اليه ومثله ايضاً في الوضوح اذا قلت « ضرب زيد
عمرًا في ساحة البلد » فان المكان قيدٌ مخصص يتوجه اليه النفي دون
المفعول وكذلك المفعول قيد يتوجه اليه النفي دون الفاعل وهكذا

بقي لي ان اشير الى ما اذا اجتمع قيدان في الجملة من رتبة واحدة
كقولك « ذهب زيدٌ من بيروت الى الشام » فان القيدَين مكانيان يصح
توجه النفي الى كل منهما ولا بد للتعين من قرينة فاذا فقدت القرينة
الخارجية فلا بد من نصب قرينة التقديم والتأخير فاخر ما اردت ان
يكون قيداً لصاحبه فيعلم ان النفي موجه اليه (راجع التنبيه الثاني) وقس
على هذا ما يشاكله كقولك « رابت زيداً راكباً متوجهاً الى جهة بيته »
فان راكباً قيدٌ ومتوجهاً الى جهة بيته قيد اخر وهما من رتبة واحدة فان
فقدت القرينة الخارجية فانصب تأخير احدهما قرينة لفظية دلالة على ان
النفي متوجه اليه دون صاحبه والله اعلم



❖❖❖ خاطر في الجملة الشرطية ❖❖❖

— ❖ كلام في الجملة الشرطية عموماً ❖ —

يراد بالجملة الشرطية التعميم مطلقاً فضلاً عن الربط بين الفعل والجواب
 فاذا قيل « من يذهب اذهب معه » مثلاً كان المراد ان ذهب زيد
 او عمرو او بكر او حامد الخ اذهب معه واذا قلت « متى تذهب اذهب »
 كان المراد ان تذهب اليوم او غداً صباحاً او مساءً اذهب وهكذا الحال
 مع ادوات المكان فانك اذا قلت اينما تذهب اذهب كان المراد ان
 تذهب الى الشام او الحجاز او العراق او الى اي مكان اخر اذهب
 بقي من ادوات الشرط ان واذا ولو ولولا الحرفيات . فاما (لولا)
 فلا خفاء في معناها واستعمالها لمن وقف على ما نصه النحاة فيها واما لو فني
 معانيها بعض الاشكال والتعدد واحسن ما جاء فيها على ما اعلم ما ذكره
 العلامة ابن هشام في مغني اللبيب واليك اهم ما ذكره بلفظه

— ❖ بحث في (لو) واقسامها ❖ —

(لو) على خمسة اوجه (احدها) لو المستعملة في نحو لو جاءني
 لاكرمته وهذه تفيد ثلاثة امور احدها الشرطية اعني عقد السببية والمسببية
 بين الجملتين بعدها والثاني تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه وما
 يذكر بعده فارقت ان (فان) تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا

قالوا الشرط بأن سابق على الشرط بل هو وذلك لان زمن المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس ما يتوهم المبتدئون. الا ترى انك نقول ان جئني غداً اكرمتك فاذا انقضى الغد ولم يجيء قلت لو جئني امس اكرمتك. الثالث الامتناع وقد اختلف النحاة في افادتها له. وكيفية افادتها اياه على ثلاثة اقوال احدها انها لا تفيد بوجه وهو قول الشلوين زعم انها لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب بل على التعليق في الماضي - وتبعه على هذا القول ابن هشام الحضراوى وهذا الذي قالاه كانكار الضروريات اذ فهم الامتناع منها كالبديهي فان كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد لهذا يصح في كل موضع استعملت فيه ان تعقبه بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً او معنى نقول لو جاءني اكرمته ولكنه لم يجيء ومنه قوله

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل امثالي

وقوله

فلو كان حمدٌ يجلد الناس لم نمت ولكن حمد الناس ليس يجلد
ومنه قوله تعالى «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأن جهم» اي ولكن لم اشأ ذلك فحق القول مني وقوله تعالى «ولو اراكم كثيراً لفشلتم ولتنزعتم في الامر ولكن الله سلم» اي فلم يريكم وهم كذلك وقول الحماسي

لو كنت من مازن لم تستج ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ثم قال لكن قومي وان كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشرِّ في شيء وان مانا
 اذ المعنى لكنني لست من مازن بل من قوم ليسوا في شيء من الشر
 وان هان وان كانوا ذوي عددٍ (والثاني) انها تفيد امتناع الشرط وامتناع
 الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري على السنة المعربين ونص عليه
 جماعة من النحاة وهو باطل بموضع كثيرة منها قوله تعالى «ولو اننا نزلنا اليهم
 الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» ولو
 ان ما في الارض من شجرة اقليم والبحر يمد من بعده سبعة اجراما نفدت
 كلمات الله «وقول عمر (رض)» نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه «ويانه
 ان كل شيء امتنع ثبت تقيضه فاذا امتنع ما قام ثبت قام وبالعكس وعلى
 هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت ايمانهم مع عدم تزول
 الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيء عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات
 مع عدم كون كل ما في الارض من شجرة اقليماً تكتب الكلمات - ويلزم
 في الاثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد (والثالث)
 انها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على
 ثبوته ولكنه ان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك «لو كانت
 الشمس طالعة كان النهار موجوداً» لزم انتفاؤه لانه يلزم من انتفاء السبب
 المساوي انتفاء مسببه وان كان اعم كما في قولك «لو كانت الشمس طالعة
 كان الضوء موجوداً» فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منه
 للشرط وهذا قول المحققين ويتلخص على هذا ان يقال ان (لو) تدل على
 ثلاثة امور عقد السببية والمسببية وكونها في الماضي وامتناع السبب ثم

تارة يعقل بين الجزئين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاول على ثلاثة اقسام ما يوجب فيه الشرع او العقل انحصار مسببة الثاني في سببية الاول نحو «ولو شئنا لرفعناه بها» ونحو «لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً» وهذا يلزم فيه من امتناع الاول امتناع الثاني قطعاً وما يوجب احدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو لو نام لا تنقض وضوه ونحو لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً وهذا لا يلزم فيه من امتناع الاول امتناع الثاني كما قدمناه وما يجوز فيه العقل ذلك نحو لو جاءني اكرمته فان العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجح ان ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الاول وانه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء السبب المساوي لانتفاء السبب لا على الانتفاء مطلقاً ويدل الاستعمال والعرف على الانتفاء المطلق (والنوع الثالث) قسمان احدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجد الشرط او فقد ولكنه مع فقد اولي وذلك كالاثر عن عمر فانه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى ان انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف اولي وانما لم تدل على انتفاء الجواب لا مرين احدهما ان دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الاثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية لانه اذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف اولي واذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة الثاني انه لما فقدت المناسبة انتفت العلية فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية فعلمنا ان عدم المعصية معلل بامر اخر وهو الحياء والمهابة والاجلال

والاعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستنداً اليه فقط او اليه والى الخوف . معاً وكذا « لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكم خشية الانفاق » فان الامساك عند عدم ذلك اولى (والثاني) ان يكون الجواب مقررّاً على كل حال من غير تعرّض لأولية نحو « فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴿ ولو ردّوا لعادوا ﴾ لما نهوا عنه وانهم لكاذبون » فهذا وامثاله يعرف ثبوته بعلّة مستمرة على التقديرين والمقصود في هذا القسم تحقيق ثبوت الثاني واما الامتناع في الاول فانه وان كان حاصلًا لكنه ليس المقصود

(الثاني) من اقسام (لو) أن تكون حرف شرط في المستقبل ألا انها لا تجزم كقوله

ولو تلقني أضداونا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الارض سبب
لظل صدى صوتي وان كنت رمة لصوت صدى ليلى بهش ويطرب

وقول توبة

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت عليّ ودوني جندلّ وصفائح
لسلمت نسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وقوله

لا يملك الراجوك الا مظهرًا خلق الكرام ولو تكون عديما
وكون (لو) بمعنى (ان) قاله كثير من النحويين في نحو « وما انت بهو من لنا ولو

كما صادقين . ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبث ونحو « أعطوا السائل ولو جاء على فرس » وقوله

قومٌ اذا حاربوا شدوا ما زرعهم دون النساء ولو بانت باطهار
وتحرير ذلك ان يعلم ان خاصية (لو) فرض ما ليس بواقع واقعاً ومن ثم اتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع وخاصية (ان) تعليق امر بامرٍ مستقبل محتمل ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال . فعلى هذا قوله « ولو بانت باطهار » يتعين فيه معنى (ان) لانه خبر عن امرٍ مستقبل محتمل اما استقباله فلا ن جوابه محذوف دلّ عليه (شدوا) وشدوا مستقبل لانه جواب اذا . واما احتمال فظاهر ولا يمكن جعلها امتناعية للاستقبال والاحتمال ولان المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناءه . واما قوله ولو تلتقي (البيت) وقوله ولو ان ليلي (البيت) فيحتمل ان (لو) فيها بمعنى ان على أن المراد مجرد الاخبار بوجود ذلك عند وجود هذه الامور في المستقبل ويحتمل انها على بابها وان المقصود فرض هذه الامور واقعة والحكم عليها مع العلم بعدم وقوعها والحاصل ان الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً وليس المقصود فرضه الان او فيما مضى فهي بمعنى (ان) ومتى كان ماضياً او حالاً او مستقبلاً ولكن قصد فرضه الان او فيما مضى فهي الامتناعية (والثالث) ان تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة أن الا انها لا تنصب واكثر وقوع هذه بعد وَدَّ وَيُودُّ نحو « ودُّوا لو تدهن . يودُّ احدهم لو يعمر » (والرابع) ان تكون للتمني نحو لو تأتيني فتحدثني قيل ومنه « فلو أن لنا كرة » اي فليت لنا كرة —

وقال بعضهم هي (لو) الشرطية أُشربت معنى التمني بدليل أنهم جمعوا لها بين
جوابين جواب منصوب بعد الفاء وجواب باللام كقوله

فلو نبش المقابر عن كليب فيغير بالذئائب أي زير
يوم الشمشين لفر عينا وكيف لقاء من تحت القبور

وقال ابن مالك هي (لو) المصدرية أغنت عن فعل التمني . وذلك أنه
أورد قول الزمخشري وقد تجيء (لو) في معنى التمني في نحو لو تأتيني فتحدثني
فقال ان أراد أن الأصل وددت لو تأتيني فتحدثني فحذف فعل التمني لدلالة
(لو) عليه فأشبهت ليت في الأشعار بمعنى التمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح
أو أنها حرف وضع للتمني كليت فممنوع لا ستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل
التمني كما لا يجمع بينه وبين ليت اهـ (الخامس) ان تكون للعرض نحو لو
تنزل عندنا فتصيب خيراً ذكره في التسهيل وذكر ابن هشام اللخمي
وغيره لها معنى آخر وهو التقليل نحو «تصدقوا ولو بظلف محرق» وقوله تعالى
«كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم» وفيه نظر

هذا خلاصة ما ذكره هذا العلامة في كتابه مغني اللبيب طبع بمصر
بالمطبعة المجاورة لقطب الدرديري سنة ١٣٠٢ هـ و ٢٠٥ - ٢١٥ . بقي
ان واذا ولها ابحاث خاصة بهما ستقف عليها بالتفصيل ان شاء الله

❖ — ان واذا — ❖

ويراد بهما تعليق حصول مضمون الجزء بحصول مضمون الشرط في
الاستقبال نحو «ان أكرمتني أكرمك» فان حصول اكرامي لك (وهو

مضمون الجزء) معلق بحصول اكرامك لي (وهو مضمون الشرط) و (ان)
دالة على هذا التعليق ومثله قولك امهلي ريثما افرغ من هذا المكتوب
« فاذا فرغت منه كتبت لك ما تشاء » فان كتابتي لك ما تشاء (وهو مضمون
الجزء) معلق على فراغي من المكتوب (وهو مضمون الشرط) و (اذا) دالة
على التعليق

واعلم انه يجوز لك ان تقيد الشرط والجزء بما تشاء من قيود الزمان
والمكان فاذا كانا مطلقيين فيقيدان بقرينة العرف والحال فاذا لم تدل قرينة
على تقيدهما بزمان ولا مكان صح فيهما اعتبار عموم الزمان والمكان على
الاطلاق كقولك « اذا رعبت عهد الاخوان رعوا عهدك » وان نكثت
نكثوا » فانه واضح من المثالين انه لا يقصد تقيد الشرط ولا الجزء بزمان
ولا مكان بل المراد عموم الامكنة والازمنة معاً كما لا يخفى

ثم ان الجزء لا يكون مضمونه الا مستقبلاً لانه مترتب على الشرط لا
يحصل الا بعد حصوله واما الشرط فلا بد فيه من اعتبار الاستقبال ايضاً
فان كان ظاهره الماضي لفظاً ومعنى فلا بد من ان يكون مبناه على فعل مقدر
له علاقة به (اي بالشرط) يصح فيه (اي في هذا المقدر) ارادة الاستقبال
واعتباره كقولك مثلاً لمن اخبرك بما يسرك « ان كان خبرك صحيحاً فلك
عليّ حكمك » فان ظاهر الشرط هنا ماض لفظاً ومعنى على انه مبني على
مقدر يصح فيه ارادة الاستقبال اي ان يثبت كون خبرك صحيحاً وعليه
قول المتنبي

ان كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لمجرح اذا ارضاكم ألم

اي ان يثبت انه سر كم الخ ومثله قول الآخر

ان كانت العشاق من اشواقهم جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي انلو هم باليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
اي ان يثبت ان العشاق الخ وهو ظاهر وكذلك قولك لمن يعتد عليك
بصنيعة في الماضي ان « اكرمتني امسا فطالما اكرمتك من قبل » اي ان تعتد
علي باكرامك امسا فاعتد عليك بما اكرمتك به من قبل وعليه ورد قول
بعضهم وهو من الايات التي يستشهد بها

انغضب ان اذنا قتيبة حرنا جهارا ولم نغضب لقتل ابن خازم
اي انغضب ان افتخر عليك مفتخر او اعتد عليك بحز اذني قتيبة
واما قول المتنبى

وان طبع قبلك المرففات فانك من قبلها المنصل

وان جاد قبلك قوم مضوا فانك في الكرم الاول

فان طبع المرففات قبل الممدوح وجود من جادوا امر ماض لفظا ومعنى
الا ان الشرط مبني على فرض القول كما يظهر للتأمل أي وان يقل قائل ان
المرففات طبع قبلك فلها فضل التقدم عليك قلنا ليس الفضل بالتقدم
الطبع بل بالغرض المقصود من الطبع وهو المضاء وانت قد سبقتها فيه
وكذلك تاويل البيت الثاني اي وان يقل هذا القائل جاد قبلك قوم مضوا
فاهم الفضل عليك قلنا ليس فضلك لمجرد وقوع الجود منك حتى يصح
القول بالفضل المتقدم بل لبوغاك فيه غاية لم يبلغها احد من قبلك وكل
ذلك ظاهر لمن انعم النظر

وقد يكون المقدّر غير ما ذكرنا كقولك لمن تعلم من طبعه الجبانة
 «يا ابني ان كنت هيوباً تصيرُ الى الخيبة في امورك» فالتقدير المراد من
 الجملة انه ان يستمرّ بك التهيّب وبعبارة اخرى كانك قلت له يا ابني انا
 اعلم انه من طبعك الجبانة واولى بك تركها لانك ان تبقى وتستمرّ عليها
 تصر الى الخيبة في مستقبل امرك او عند ملابسة اشغالك وهكذا في كل
 جملة ظاهر شرطها ماضي لفظاً ومعنى فانه يمكنك ردها او رد محصلها الى
 الاستقبال والتحول في اسلوب الرد لا يخفى على الفطن ولا يخفى عليه
 ايضاً تقدير المحذوف فانه يكون في كل جملة تابعاً لمناسبات اقراءن والاحوال
 وما قدّمناه مصداق لقول النحاة من ان الشرط والجزاء ينبغي فيهما ارادة
 الاستقبال والله اعلم

بقي علينا ان ننظر في امور ثلاثة وهي (اولاً) نوع التعليق المدلول
 عليه بان واذا (ثانياً) ما المراد بهما والفرق بينهما في الاستعمال (ثالثاً) متى
 تستعمل كل منهما . وهي مباحث فيها من الصعوبة ما ليس في غيرها من
 مباحث المعاني كما لا يخفى على من وجه اليها نظره من المشتغلين في هذا
 الفن وتدرسه ولذلك لم نبد فيها رأياً ولا كتبنا سواداً على يياض الا بعد
 أن استقرينا جميع مواقع ان واذا في القرآن العزيز وعززنا ذلك بمراجعة
 مواقعها في اكثر ديوان المتنبي وابي العلاء والحامسة وغير هذه من المؤلفات
 المعتبرة المشهود لاربابها بالفصاحة والبلاغة ودقة التعبير كالكمال للبرّد
 والاحياء للامام الغزالي والسيرة النبوية وديوان الفارص ورسائل
 الخوارزمي مع اطلعنا على ما ذكره العلامة التفتازاني على شرح التلخيص

والسيد الشريف علي السكاكي وعلى كثير مما ذكره العلامة الزمخشري
في كشفه والله المسأول ان يلهنا الى الصواب

❖ البحث الاول ❖

❖ في نوع التعليق المدلول عليه بان واذا ❖

لا يصعب على المتأمل بعد اذ يتوجه خاطره الى موضوع البحث ان يرى
فرقاً في التعليق (اي ترتب الجزاء على الشرط) ما بين قولنا « واذا طلعت
الشمس زارنا زيد » وما بين قولنا « واذا طلعت الشمس وجدّ النهار » فان
الجزاء في المثال الاول وان كان مترتباً على الشرط فليس بلازم له عقلاً
ولا مستلماً بملازمته انما هو مشكوكٌ بوقوعه والمتحقق فيه هو انّ زيارة زيد
لا تكون الا بعد طلوع الشمس واما حصول الزيارة نفسها فمن المشكوك به
الممكن وقوعه وعدمه بخلاف الجزاء في المثال الثاني فانه ملازم لوقوع الشرط
لا ينفك عنه اصلاً . وكذلك يظهر لك الفرق بين قولنا « اذا اكرمت زيداً
ملكته » وبين القول المتعارف « اذا اكرمت الكريم ملكته » فان الجزاء في المثال
الاول غير متحققة ملازمته للشرط بل يجوز العقل ان يقع مع وقوع الشرط
ويجوز ان لا يقع ايضاً والمراد من التعليق فيه الدلالة على ان الجزاء اذا
وقع فانما يقع بعد وقوع الشرط بخلاف المثال الثاني فان الجزاء فيه مسلم
بوقوعه عقلاً عند وقوع الشرط لا يشك في ذلك الا كما يشك في سائر

المسلّمات من جنسها . والمفهوم منه امران احدهما ان الجزاء مترتب وقوعه على وقوع الشرط على ما هو المفهوم من المثال الاول وثانيهما الملازمة بين الشرط والجزاء وان هذه الملازمة متحققة في المستقبل كما انها كانت كذلك في الماضي وهذا المفهوم زائد على المفهوم من التعليق في المثال الاول

فبناءً على وجود هذا الفرق بين التعليقين وحباً بسهولة البحث والتعبير قسمنا الشرط من حيث تعلق جزائه بشرطه الى قسمين تسمينا احدهما (الشرط الملازم) والاخر (الشرط المنفك) فلنقدم الان الى تعريف كل منهما مع ذكر بعض ملاحظات لا تخلو من فائدة ويسهل علينا معها تمييز الشرط الملازم حيثما وقع وبالله التوفيق

— ﴿ الشرط الملازم والشرط المنفك ﴾ —

علمت مما مرّ بنا انّ التعليق قد يراد به الملازمة ما بين الشرط والجزاء وقد يراد به مجرد ترتيب الجزاء على الشرط (مع لمح اعتقاد المتكلم بوقوع الشرط او بلا وقوعه كما سنقف على ذلك ان شاء الله) وعلمت ايضاً اننا بناءً على هذا الاختلاف بين نوعي التعليق قسمنا الشرط الى ملازم ومنفك فلئلا يذهب عن ذهنك ما اردناه نعود فنذكر لك ما نريد بكل منهما على صورة الحد فانه ادعى للرسوخ في الذهن واليك هو . الشرط الملازم هو ما كان مضمون الجزاء فيه لا ينفك عن مضمون الشرط بمعنى انه متى ذكر الشرط وذكر الجزاء لانجد بدءاً من الحكم بتلازمهما والتسليم بان الثاني

وقع مع وقوع الاول او بعده لسبب يلحظه العقل بينهما بعد وقوفه على
مضمون كليهما . والشرط المنفك هو ما يبدل على ترتيب الجزاء على الشرط
فقط من دون ان يكون بينهما ملازمة يوجبها العقل ويحكم بثبوتها
لسبب عام متعارف

واعلم ايضاً اننا اذا نظرنا الى الشرط والجزاء من موقف اخر فنصل الى
نفس النتيجة التي مرّت بنا من قبل ونحكم بوجود شرط ملازم واخر منفك .
ولزيادة ترويض الطالب وتبنيه خاطره نذكر لك حدّاً اخر للشرط الملازم
والمنفك بعد ايقافك على الطريق الموصل لذلك

انت تعلم انّ التعليق كالاخبار في انّ منزلة الشرط والجزاء في هذا
كالمبتدا والخبر في ذلك اي انه يمكن رد كل جملة شرطية الى مبتدا وخبر
يتوسط بينهما الترتب المفهوم من التعليق في الجملة الشرطية . مثاله جملة « اذا
ساد العاقل نفع الناس » وجملة « اذا ساد زيد نفع الناس » فانه يمكننا ان نردّ
الجملة الاولى الى سيادة العاقل يترتب عليها نفع الناس وان نرد الثانية الى
سيادة زيد يترتب عليها نفع الناس على انك بعد هذا الرد اذا نظرت
الى الجملة الاولى ترى انّ الخبر فيها مقطوع بصحة اسناده الى المبتدا
وثبوته له في كل الازمنة كما لا يخفى والعقل لا يشك بصدق الاسناد
ومطابقته للحقيقة لوجود السبب المقتضي لذلك وهو كونه عاقلاً بخلاف
الجملة الثانية فانّ اسناد الخبر فيها الى المبتدا بين ان يصدق وبين
ان لا يصدق وليس للعقل من سبب متعارف يحكم معه بصحة الاسناد وثبوته
على ما في الجملة الاولى . بل نقول لك انه يمكنك ان تبدل لفظة (يترتب

على (بلفظة) (يوجب او يقتضي دائماً) مع بقاء الاسناد على صحته وثبوته في الجملة الاولى لوجود سبب يوجبه بخلاف الجملة الثانية فإنَّ العقل يشك بصحة الاسناد فيها بعد التبديل لعدم السبب الذي يوجبه وعليه فلنا من هذه الوجهة تعريف اخر للشرط الملازم والمنفك والتعريف كما ترى : الشرط الملازم هو (ما يمكن فيه رد الجملة الشرطية الى جملة مؤلفة من المبتدا والخبر يقطع العقل فيها بصحة الاسناد ومطابقته للحقيقة دائماً) والشرط المنفك هو (ما يمكن فيه رد الجملة الشرطية الى جملة مبتدا وخبر لكن لا يقطع فيها العقل بصحة الاسناد ومطابقته للواقع دائماً) (تنبيه . لاتنس الرابط بين جملة المبتدا والخبر بعد رد الجملة الشرطية اليها)

ابنًا لك فيما مرَّ انقسام الشرط الى ملازم ومنفك وعرفناك ما المراد من كل منهما والطريق الموصل الى تحديدهما . بقي علينا اتماماً للفائدة ان نبين لك السبب الموجب للملازمة بين الجزاء والشرط بايقافك على انواعه ما هي

— ❖ نوع السبب الموجب للملازمة بين الجزاء والشرط ❖ —

اعلم ان هذا السبب انواع (اولاً) عقلي بديهي اي يعرف ببداهة العقل كقولك اذا تحرك جسم فلا بد له من محرك وكقولك « اذا كان العالم حادثاً فلا يكون قديماً » والملازمة هنا منظور اليها ابتداءً من الحال مع ارادة انها ثابتة في المستقبل كما كانت في الماضي (ثانياً) طبيعي مادي . وهو اما مبني على المشاهدة العامة كقولنا اذا

طلعت الشمس وجد النهار « واذا غلا الماء تبخر » او على الاختبار والتجربة عند اربابها كقولنا اذا بلغت حرارة الماء درجة ٢١٢ فهرنهايت على مساواة سطح البحر غلا » اذا مرّ بخار الماء على قطع حديدية محماة الى درجة الانارة انحل الى عنصريه المؤلف منها » والملازمة هنا منظور فيها ابتداءً من الماضي والحكم بصدقها في الحال والمستقبل

(ثالثاً) طبيعي ادبي . والملازمة مع هذا السبب اقل وضوحاً احياناً منها مع السببين الماديين وربما اوجبت الوقفة برهة مع كثيرين في بادي الرأي . كقول القائل « اذا اكرمت الكريم ملكته » وكقولك « اذا عمّ العدل ازداد العمران واذا عمّ الظلم تناقص » والملازمة مبنية على ما هو متحقق من طبيعة الكريم والعدل وينتقل فيها من الماضي الى الحال والمستقبل على ما في السبب الثاني

(رابعاً) شرعي ديني . والجزاء هنا اذا كان الشرط متعلقاً بالاعتقادات كان في الغالب بصورة الخبر وعليه ورد الحديث « اذا همّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات واذا هم بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عزّ وجلّ » ومنه قول الانجيل « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم ايضاً زلاتكم » فاذا كان مما يتعلق بكيفية العبادات والمعاملات كان في الغالب بصورة الامر او النهي وامثلة ذلك في التنزيل كثيرة منها « واذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق .

فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم . فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم»

(رابعاً) عرفي اصلاحي . كقولك « اذا وجد البناء امتنع ظهور علامة
الاعراب » وكقولك فان اقترن الجواب (اي جواب الشرط) بالسين او
سوف وجب ربطه بالفاء . وهذا لك علامات لفظية تدلُّ على الشرط الملازم
لا تخلو الاشارة اليها من فائدة اقله انه بعد وقوفك عليها تحكم معها بان
الشرط من قبيل الملازم من غير اطالة روية وهي

(ا) اذا كان الجزاء امراً او نهياً للتعليم كقول المثل الدارج « اذا
دخلت على مدينة العوران فضع يدك على عينك » وعليه المثل المتعارف
« اذا اردت ان تطاع فسل ما يستطاع » وكقولك « اذا نزلت بك الشدة
فلا يخر عزمك واصبر » ومن هذا الباب قولك « اذا جئت لزيارة قوم فسلم
اولاً على رب البيت ثم على غيره من الحاضرين » وهو شائع متعارف

(ب) اذا وقعت الجملة الشرطية معرّفاً كما اذا سئلت عن المروءة
ما هي فقلت « اذا استغنى المرء اغنى اهله عن غيره » وعليه الحديث في
الصفح الجميل « اذا صفحت عمن ظلمك فلا تعاتبه » وقد يجتمع المعارف
والمعرّف في الجملة فيكون الشرط بمنزلة المعارف والجزاء بمنزلة المعرّف
كقولهم في الناقة التي مات ولدها « فان درّت عليه فتلك الدرور وان لم
تدر فتلك العلوق »

(ج) اذا وقعت الجملة الشرطية نعتاً كقولك « جاءني رجل اذا
نقدم لا يرجع الى الوراء » او صلة لموصول كقولك جاءني الذي اذا كتب

لَبَّته المعاني والالفاظ طوعاً لا مره وهذا الذي اذا وعد وفي واذا قال فعل «
وعليه قوله

جانب السلطان واحذر بطشه لا تخاصم من اذا قال فعل
(د) اذا وقعت جملة الشرط خبراً عن مبتدا ما لم يكن معرفة معيناً
كقولك «الكريم اذا رغبته في صنيعه رغب» فاذا كان المبتدا معرفة معيناً
كقولك «زيد اذا رغبته في صنيعه رغب» جازان تسلم الملازمة وجاز
ان لا تسلم فاذا قلت «زيد كرم اذا رغبته في صنيعه رغب» وسلمت
له بوصف الكرم سلمت الملازمة هنا كما تسلم في مثل الكرم اذا رغبته في
صنيعه رغب

(هـ) اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً لكان فانه يقصد من التعاليق
حينئذ الدلالة على العادة في الماضي ولا بد في العادة من اعتبار مزاولة الفعل
في الماضي وتوقع حصوله في المستقبل وهذا نوع ملازمة كما لا يخفى نحو
قول بعضهم «وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعز هذا الوادي» فان مفهوم
الملازمة بين نزولهم في واد وقولهم نعوذ بعز هذا الوادي واضح كل
الوضوح الا انه حكاية ماضية وقريب من هذا قول القائل
وكنت اذا غمرت فناء قوم كسرت كعوبها او استغيا

وقول الآخر

وكنت اذا قوم رموني رميتهم فهل انا في ذا يا لهمدان ظالم
الا انه ينبغي ان تعلم ان مفهوم هذا النوع من الملازمة ما كان العقل
ليقول به لولا ذكر (كان) ولما كان ذكرها لازماً في هذا الموضع كانت

أبدًا تبه العقل الى الملازمة كما لو تضمن الشرط سبباً يدل عليها . اما اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً (لان) كقول القائل

انا بني نهشل لا ندعي لابي عنه ولا هو بالأبناء بشرينا
ان تبتدر غابة يوماً لمكرمة تلقى السواقى فينا والمصلينا
او مفعولاً ثانياً لأفعال القلوب مما يدل على اليقين كقوله

التي رأيت التي الكرم اذا رغبته في صبيعة رغبا

فحكم الشرط هنا حكمه اذا وقع خبراً لمبتدأ على ما مرّ بك في (د)
واما افعال الشك فلا تدخل على الشرط الملازم لتنافي مضمونها فلا تقول
اظن الجسم اذا تحرك فلا بد له من محرك ولا تقول ايضاً احسب العدل
اذا عم زاد العمران واخال الشمس اذا طلعت اضاءت وكذلك لا تدخل
عليه ليت ولعل وما هو في معناها كعسى ولا ما يدل على المقاربة ككساد
الا ان هذه لا يمتنع دخولها على الشرط المنفك والله اعلم

واعلم انه قد ينتظم في سلك الشرط الملازم ما اذا فهم من الجملة
الشرطية او أريد بها الدلالة على خالق او عادة لبعضهم بشرط موافقة ذلك
لاعتقاد المخاطب لأن المقصود بجملة الشرط حينئذ الإشارة الى حال من
هي له في الماضي والى ان تلك الحالة ثابتة له في المستقبل ما لم يعارض ذلك
(اي ثبوت الملازمة في المستقبل) ما يمتنع صراحة كذكر (كان)

واوضح ما يستشهد به لما قدمناه ما جاء في التنزيل من وصف بعض
المنافقين في زمن صاحب الرسالة قال « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » فان الآية يفهم منها

خلق القوم وعاداتهم وهذا هو المراد بها ايضاً . الا ان المنظور اليه ابتداءً فيها انما هو الايمان الى ما وقع من اولئك المناوقين قبل نزول الاية وفيها زيادة اخرى وهي انها تلح الى ان هذا مستمرٌ منهم في المستقبل . وهذا الغرض من الجملة الشرطية (اي الايمان الى حادثة وقعت في الماضي بعينها وارادة انها ستكرر في المستقبل) امرٌ كثير الوقوع على سبيل التعريض في المخاطبات والمكاتبات . وعندى ان الشرط فيها اولى ان يعد من قبيل الملازم لا من قبيل المنفك لان الكلام مبنيٌ معها من اول الامر على ارادة الملازمة (لما يسوغها في اعتقاد المخاطب) والفرق بين الملازمة هذه وبينها في قولنا « اذا عمَّ العدل ازداد العمران » مثلاً واضح فان الاولى لا سبب يوجبها الا اعتقاد المخاطب وتلك سببها طبيعي ادبي كما علمت

وقبل ان اختم الكلام في هذا البحث لا ارى بدءاً من التنبيه الى أن الملازمة قد تكون حقيقية كما علمت وقد تكون ادعاءً لغلبة ميل الناس واقبالهم على ما يدل عليه مضمون الجزاء او لغرض من الاغراض الشعرية كالمبالغة فمثال الاول قول بعضهم

اذا قلت يوماً لمن قد ترى أروني السريَّ أروك الغني

فانه لغلبة ميل الناس الى الغنى واقبالهم على الغنى ادعى الشاعر الملازمة بين سوءالك عن السري وبين جوابهم لك انه الغني ومثال الثاني قول ابن الوردي

ان تدعى تنكسف شمس الضحى واذا ما ماس بزري بالأسل

فانه ادعى الملازمة للمبالغة في وصف الموصوف بالاشراق والدونة فهذا

ما اردنا ذكره في الشرط الملازم وبيان اسباب الملازمة وما يحوم حولها
وفوق كل ذي علم عليم

❖ البحث الثاني ❖

— ❖ في ما المراد بان واذا والفرق بينهما في الاستعمال ❖ —

المراد بان واذا الربط او التعليق بين الجزء والشرط كسائر ادوات
الشرط الا انها تفتقران عن بقية الادوات في انه لا ينظر بلفظها الى التعميم
في الزمان كما في ادوات الزمان ولا الى التعميم في المكان كادوات
المكان ولا الى التعميم في الموصوفات كما في الادوات التي تدل عليها .
فقولك مثلاً « متى زررتي تجدني يراد به ان تزرنني اليوم او غداً او بعد
غداً صباحاً او مساءً الخ تجدني » وهذا العموم في الزمان يدل عليه بلفظ
(متى) بخلاف قولك ان تزرنني تجدني او اذا زررتي تجدني فان لفظ ان
واذا خال بنفسه عن التعميم المدلول عليه بمتى وان صرح ارادته في جملتها
عند عدم القرينة على ارادة التخصيص فيها

وهناك فرق اخر وهو انه يمكنك الابدال من بقية الادوات غيرها ولا
بدحيتئذ من اظهار (ان) مع البديل كقولك « متى تزرنني ان غداً او بعد غداً
تجدني » وكقولك « اينما كنت ان في البلد او خارجها اكون معك » ولا
يبدل من (ان واذا) انما يصح تقييد شرطها بالزمان والمكان كما لا يخفى
عليك ثم لما كان هذان الحرفان يشتركان في الربط او التعليق فرق فصحاء

المتكلمين في الاستعمال بينهما بالنظر الى اعتقاد المتكلم فجعلوا (ان) للدلالة على انه يشك بوقوع الشرط واذا للدلالة على انه يقطع بوقوعه . وقد اجمع جميع علماء المعاني على وجوب مراعاة هذا الفرق في استعمالها وقالوا ان الفصحح لا يقول مثلاً « اذا جاء زيد اكرمه » الا وهو يقطع ان مجيئه سيقع (ولا يقطع بان الشرط سيقع الا لسبب يقضيه عنده) فتكون (اذا) في كلامه قرينة عند السامع يفهم منها اعتقاده بالقطع وكذلك لا يقول « ان جاء زيد اكرمه » الا وهو يشك بوقوع المجيء فتكون (ان) في كلامه قرينة تدل على اعتقاده بالشك . وهكذا ورد استعمال هاتين الاداتين في الكلام المقطوع بفصاحة قائله كالحديث وآيات التنزيل واليك مثال ذلك . روى انه (صلعم) امر اميراً وارسله لقتال المشركين فقال له « اذا قميت عدداً من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » فانه لما كان لقاء عدد من المشركين من المقطوع بوقوعه استعملت اذا في جانبه ولما كانت بقية الشروط (اي فان اجابوك وان ابوا وان هم اجابوك) جميعها من المشكوك بوقوعها استعملت (ان) في جانبها

على انك اذا استقرت كلام الفصحاء لم تجدهم وقفوا في استعمال هاتين الاداتين عند هذا الحد بل تجاوزوا بان من الدلالة على الشك الى الدلالة على اسباب الشك ودواعيه وبأذا من الدلالة على القطع الى الدلالة على اسباب القطع . وانت تعلم ان وضعهم سبب الشيء موضعه وتوبيه اماله علاقة به منابه كثير في اغلب مناحي كلامهم واساليبه او ما تراهم يسندون

الفعل الى سببه بدلاً من اسناده الى فاعله كقولهم « بنى الامير المدينة ومدَّ
الوالي الاسلاك البرقية » ويسندونه ايضاً الى زمانه او مكانه او شرطه كقولهم
« انبت الربيع البقل وسال النهر وانزل الغيم المطر » ومنه قول الشاعر
اشاب الصغير وافنى الكبير كثر الغداة ومث العشي

وهم ايضاً يحذفون جواب الشرط ويقيمون سببه او ما له تعلق به مقامه
وكذلك يحذفون فعل الشرط ويدخلون الاداة على متعلقه كما مرَّ بك
فاذا علمت هذا قلنا لك ان هذا حالهم مع ان واذا فانهم يستعملونها
كثيراً لا للدلالة على ان المتكلم يشك بوقوع الشرط او يقطع به بل للالمام
الى سبب من اسباب الشك او القاطع فهذا المتنبي يقول

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم نمردا

فلم يستعمل (اذا) للدلالة على انه يقطع بوقوع الشرط ولا (ان) للدلالة على
انه يشك بوقوعه بل للتنبيه على ان اكرام الكريم واقع موقعه وعلى عكسه
اكرام اللئيم لانه لا يستحق الاكرام ترغيباً في الاول وحثاً عليه وتنفيراً من
الثاني وصرفاً عنه . وهذا ابو العلاء يقول

لفظ كان معاني الشكر نسكته فمن تحفظ بيتاً منه لم يبق

اذا ترم شاذ للبراع به لافى المنايا بلا خوف ولا فرق

وان غفل صادر للصخور به جادت عليه بعذب غير ذي رنق

فان الجملتين الشرطيتين في البيت الثاني والثالث كل منهما نعت (لفظاً)
في البيت الاول والقول بان (اذا) في البيت الثاني للدلالة على القاطع و (ان)
في الثالث للدلالة على الشك تحكم لا دليل عليه بل يعارضه انها للوصف

والوصف يقتضي التلبس والثبوت وهذا يبين اعتقاد الشك ويمنع منه وعليه
فقد خرج ابو العلابان واذا عن اصل دلالتها الى ماله تعلق بها من سبب
او داعية واقرب ما يقال انه لما كان الشرط في البيت الثاني قريب من
المألوف والمعتاد وفي البيت الثالث بعيداً عنهما والقرب من المألوف سبب
للقطع والبعد عنه سبب للشك لا جرم استعمل (اذا) مع الاول و (ان) مع
الثاني اما قصداً او عفواً مدفوعاً اليه بحسن الذوق وكثرة مزاوته الكلام
البليغ وتخرجه فيه . وقريب من هذا قول الآخر

يارب ان قدرته لمقبل غيري فلأفداح او للاكوس
واذا حكمت لنا بعين مراقب في الدهر فلنك من عبون النرجس

فان الشرطيتين في البيت الاول والثاني واقعتان جواباً للندا وأولى ان يكون
حكمهما بالنظر الى اعتقاد القطع او الشك واحداً فضلاً عن ان القطع يقتضي
سبباً متعارفاً معلوماً لا دليل على وجوده في البيت الثاني الا على شاكلة ما هو
في البيت الاول ولهذا فعندي انه نظري البيت الاول الى ما يشق على
النفس تحمله من تقبيل غيرة حبيبه لما فيه من النفرة الطبيعية ونظر في
البيت الثاني الى ما في تحمل عين الرقيب من السهولة بالنسبة الى التقبيل
فاستعمل (ان) في الجانب الاول و (اذا) في الجانب الثاني لان في نفورك
الشيء وامكان تحملك المشقة بسببه ما يدعو بك الى الشك بوقوعه
كانك لا تريد به ان يقع بخلاف ما هو على عكسه

ولا اقول ان الشاعر نظر قصداً الى ما تأولت له به كلامه بل ربما
كان هذا وربما انساق عفواً الى استعمالها بحكم البداهة التي فيه فطرة

كانت او اكتساباً والشواهد على الخروج بان واذا عن اصل استعمالها الى
الاسباب التي تدعو الى الشك او القطع كثيرة لمن اراد الوقوف عليها في
كلام الفصحاء وأهم من ذكر تلك الشواهد ان نبين لك تلك الاسباب
ما هي فتعتبرها في ما تراه من كلامهم واليك هي

❖ الاسباب التي يميل معها العقل الى الشك او تدعوه اليه ❖—

- (اولاً) كراهة الشي او توقع الضرر منه وما في معناها
- (ثانياً) ندرة وقوعه
- (ثالثاً) صعوبته في نفسه او صعوبة الاسباب التي يتوصل بها اليه
- (رابعاً) مخالفته للعتاد او للجري الطبيعي المتعارف
- (خامساً) مخالفته لما في اعتقادك او لما تتوقعه
- (سادساً) اذا كان المقصود اضافته اليه لا يستحقه كإكرام اللئيم مثلاً
- (سابعاً) الاستقبال مظنة للشك في الغالب فانك اذا التفت الى
شيء باعتبار انه سيقع قام في نفسك مع التفتاتك هذا خاطر الشك
فهذه على ما نرى الاسباب التي تدعو الى الشك والتي يصح للكاتب ان
يستعمل (ان) للإشارة الى واحد او أكثر من واحد منها ولسهولة الإشارة
اليها نسميها بمتعلقات الشك او اسبابه . واما اسباب القطع فعكس
هذه واليك هي



❖ الاسباب التي يميل معها العقل الى ❖

❖ القطع بوقوع الشيء او تدعوه اليه ❖

(اولاً) الرغبة في الشيء او توقع النفع منه وما في معناها

(ثانياً) كثرة وقوعه

(ثالثاً) سهولته في نفسه او سهولة الاسباب التي يتوصل بها اليه

(رابعاً) موافقته للعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف في النفس

او في الخارج

(خامساً) موافقته لما في اعتقادك او لما تثوقه

(سادساً) اذا كان المقصود اضافته اليه مستحقاً له

(سابعاً) النظر اليه انه وقع في الماضي او كان سبق عنه اخبار

بوقوعه نحو « هو رجل البلج احور من ولد لؤي بن غالب يدعوك الى كلمة

الاخلاص فاذا دعاكم فاجيبوه » ونحو « لا تقرأه على يهود حتى تسمع بني قد

خرج يثرب فاذا سمعت به فافتحه »

فاذا علمت هذه الاسباب فاعلم ان (ان واذا) قلما يخرجان عن اصلها

من الدلالة على الشك والقطع الا الى ما له تعلق به من الاسباب المارة



❖ البحث الثالث وفيه بحثان ❖

❖ بحث اول ❖

❖ في استعمال ان واذا في الشرط الملازم ❖

مرّ بنا تحديد الشرط الملازم وعرفنا ما المراد منه ونزيد هنا انه ابدأً متحقق فيه وقوع الشرط وان المقصود منه بالذات انما هو الدلالة على التعليق وبيان الملازمة بين الجزاء والشرط لا بيان ان الشرط مقطوع بوقوعه او مشكوك فيه . اما ان الشرط فيه متحقق الوقوع فواضح من اقل تأمل في قولنا « اذا غلا الماء تبخر » ووضح منه طلوع الشمس في قولنا « اذا طلعت الشمس وُجد النهار » لكن ربما يتوقف بعضهم بادىء الرأي في قول المتنبى « اذا انت اكرمت الكريم ملكته » الا انه اذا تأمل علم انه لا يراد كريماً بعينه في الجملة ولا مخاطباً بعينه في زمان معين ومع هذا الاطلاق فاكرام كريم ما امرٌ مقطوع بوقوعه ومثله « اذا يسر الله أمراً هياً اسبابه واذا تاب العبد غفر له » فان تيسير الله لأمير ما وتوبة عبد من عباده ابدأً مقطوع بوقوعها فقس على ما ذكرنا غيره من بقية امثلة الشرط الملازم فانك تجد الشرط متحقق الوقوع في جميعها . ولما كان الامر كذلك فلا يصح بعد استعمال ان واذا على اصلهما مع الشرط الملازم اما (اذا) فلأن استعمالها على اصلها تحصيل للحاصل واما (ان) فللمنافاة بين اصل استعمالها القطع بوقوع الشرط المفهوم دائماً من الشرط الملازم كما يظهر كل ذلك للتأمل

وعليه لا تستعمل ان واذا في الشرط الملازم الا لاحد امرين اما للدلالة
على مجرد الربط وحيثئذ فالميزة لا إذا على (ان) لعدم المناقاة بين اصل دلالتها
وتحقق وقوع الشرط المفهوم من الجملة ولوجود المناقاة مع (ان) كما مر بك .
واما للدلالة على الربط مع لمح شيء من متعلقات الشك او القطع على
حسب ما يقضيه المقام مع ان واذا وهذا ما نريد بيانه بالاستشهاد وقد
الحنا الى شيء منه في الفصل الذي مر بك قال بعضهم

اذا ضيفت امراً ضاق جداً وان هونت ما قد عزّ هانا
فلا تهلك لشيء فات بأساً فكم امرٍ نصعب ثم لانا

وهما من ايات الكامل للبرّد فاستعمل اذا في صدر البيت وان في عجزه مع ان
الشرط من قبيل الملازم في الجملتين اشعاراً بان تضيق الامر جارٍ على المعتاد
المعروف من طباع الناس وان تهوين الامر النازل بهم مخالف للألوف من
طباعهم فلا يقع الا من افرادهم وهم اهل الحكمة واولو البصر . والبيت الثاني
نصيحة بترك التضيق لمن ضيق على نفسه مع بيان الوجه المبني عليه تلك
النصيحة وفيها دليل على ان الشاعر يلح الى ان التضيق هو الموافق للجرى
المعتاد عند اكثرهم فتأمل

وعلى هذا النمط تناول ايات بشامة بن حزن النهشلي بنمخر بقومه
وما هم عليه من رائع الصفات ومكارم الاخلاق . قال

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء بشرينا

ثم قال

ان نبور غابة يوماً لكرمة تلق السواقي فينا والمصلينا

إذا الكأمة نحلوا أن ينالم حدّ الظباء وصلناها بايدينا
فاستعمل ان في البيت الثاني واذا في البيت الثالث مع ان نوع التعليق
واحد لانه نظر مع ان الى المستقبل ومع اذا الى الماضي
واليك ما قال الاخر

بئل ذو اللب في نفو مصائبه قبل أن تنزلا
فان نزلت بغنة لم ترعه لما كان في نفسه مثلاً
وذو الجهل بامن ابامه وينسى مصارع من قد خلا
فان بدهته صروف الزمان يبهض مصائبه أعولا

فانه استعمل ان في البيت الثاني والرابع فان قلنا انه استعملها في اصل معناها
اي الشك وقع التنافي بين المراد بها وبين المفهوم من تحقق وقوع الشرط
فانه لا ينكر تحقق وقوع المصائب بغنة بذى اللب وبالجاهل الا المكابر
لانه لا يراد بذى اللب شخصاً بعينه ولا بالجاهل جاهلاً بعينه بل يراد
مطلق ذي لب ومطلق جاهل ومع هذا الاطلاق فتحقق وقوع الشرط
ظاهر للتأمل ظهور طلوع الشمس فلم يبق الا انه اراد أن يلح الى متعلق
الشك فلمح بالبيت الثاني اما الى ان ذا اللب لا يستحق ان تباغته المصائب
واما الى انه يكره له أن تباغته ولمح بان في البيت الرابع الى ندرة
مباغته صروف الزمان للجاهل اعتماداً على الاعتقاد الشائع ان الجهال قلما
تنزل بهم المصائب بل تنخطأ الى العقلاء وربما كان قوله في البيت الثالث
«وذو الجهل بأمن ابامه» اشارة الى هذا الاعتقاد

واليك ما قال الآخر وهو من شعراء الحماسة

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم نجد ينضل الغنى ألفت ما لك حامد
إذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما يربب من الأدنى رماك الأبعاد
إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تنزل عليك بروق حمة ورواعد
إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تنزل جنباً كما استنلى الجنبية قائد
وقل غناء عك مال جمعته إذا صار ميراثاً ووراك لاحد
إذا أنت لم تترك طعاماً نخبة ولا مفعداً تدعى اليه الولائد
نجلت عاراً لا يزال يشبه سباب الرجال نثرهم والنصائد
فانه لما لم يقصد إلا الى الربط تنصيحاً للخاطب وتنبهاً له الى ملازمة
مقررة عنده لا جرم اذا استعمل (اذا) في جميع اياته

واما قول ابن الوردي صاحب اللامية المشهورة

والله عن آله هو أطربت وعن الامر مرنج الكمل
ان تبدى تنكشف شمس الضحى واذا ما ماس يزري بالاسل
فانه ادعى أن الشرط من قبيل الملازم مبالغة الا انه استعمل (إن) في
صدر البيت و (اذا) في عجزه لان المبالغة في عجز البيت اسهل قبولاً منها في
صدره . وعلى هذا النحو تنأول له قوله في القصيدة عينها قال
أنا لا اخنار ثقيل يد قطعها اجل من تلك القبل
ان جزني عن مدبجي صرت في رقها او لا فيكفني النخل

فانه عدل عن اذالى ان الدلالة على أنه يكره أن تجزيه تلك اليد لانها يد
لئيم بدليل قوله « قطعها اجل من تلك القبل » وربما قصد الى انه لما كانت
يدلئيم فكافأتهما عن المديح مخالف لجري عاداتها فضلاً عما هنالك من صعوبة

العطاء على اللئيم ولداع آخر عدل الى (إن) فيما بعد هذا حيث يقول

بين نذير وبخل رنية وكلا هذين ان زاد قتل

فانه اشار باستعمالها دون (اذا) الى كراهة الزيادة او الى الضرر الناتج عنها
ويؤيده الجواب

جاء في سفر ثنية الاشتراع « اذا رأيت حمار مبغضك ساقطاً تحت
حملة فلا تتجاوزته حتى تحمل عنه » وجاء في الرسالة الى الرومانيين « ان جاع
عدوك فاطمه وان عطش فاسقه » والشرطان في الآيتين ملازمان يتعلقان
بالمعاملات ولا وجه لاختلاف الاداتين فيهما الا ان يقال ان فعل الشرط
في الاولى كثير الوقوع وموافق للألوف المشاهد بخلافه في الآية الثانية
فانه نادر الوقوع خارج عن جاري المعتاد

والخلاصة ان (اذا) في التعليق او الشرط الملازم تستعمل تارة للربط
فقط واخرى له وللدلالة على سبب من اسباب القطع ودواعيه واما (ان) فلا
بد معها فضلاً عن الربط من النظر الى شيء من متعلقات الشك واسبابه
لا الى الشك نفسه

وبعد اذ علمت ما علمته فقد تهيات للنظر في آيات الحديث والتنزيل
فانها اولى ان تراعى فيها هذه الاعتبارات دون ما سواها. جاء في الحديث
« ان الله لا يملئ من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد
بمحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها ❖ فان ❖ عملها كتبت عشر
حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعماية ضعف واذا هم بخطية لم تكتب عليه
❖ فاذا ❖ عملها كتبت خطية واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل » (الاحيا

جزء ٤ وجه ١٣٦) فان الشرط من الملازم في الجمل الاربع الا انه استعمال
(اذا) في الجملة الأولى (وان) في الثانية للإشارة الى سهولة (أن) بهم العبد
بالحسنة (وصعوبة عملها عليه بالنسبة الى مجرد همها وهذا ظاهر الا ان
الاعتبار البالغ الذي تقدم عليه الخناصر انما هو في قوله « واذا هم بخطية لم
تكتب عليه فاذا عملها » فانه لم يقل فان عملها كما قال بعد الحسنة مع انه
الموافق لنظم الكلام والمتبادر اليه في الاستعمال بل عدل عن (ان) الى (اذا)
للإشارة الى ان عمل الحسنة بعد ان بهم بها فيه مشقة لخروجه عن مجارة
هوى النفس فلا يتم للمرء الا بعد مغالبة النفس وقهر الهوى بخلاف عمل السيئة
بعد اذ بهم بها فانه خالٍ من المشقة لموافقته ميل النفس وهواها فتأمل
ومن آيات التنزيل التي يستشهد بها البيانون في باب (ان واذا) قوله
« اذا اصابتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه »
فان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين واردة الملازمة ظاهرة لانه اخبار
بان هذه كانت عادتهم والعدول عن (اذا) الى (ان) في الجملة الثانية انما
هو للنظر الى الاستقبال من جهة وللنظر الى ندرة اصابة السيئة في جانب
الاصابة بالحسنة من جهة اخرى وعندي فيه نظر آخر وهو انه استعمال (اذا)
في جانب اصابة الحسنة للدلالة على انه الموافق لمجرى المعتاد من رحمته تعالى
واستعمل (ان) في جانب الاصابة بالسيئة اشعاراً بانه مخالف لمجرى رحمته
لانه مما لا يريد جل شأنه لخلافه فان اصابهم بها فانما هي جزالة بما يستحقون
واما قوله « فاذا مس الانسان ضرر دعا ناثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما اوتيته على علم » فظاهر فيه ان المراد بيان الملازمة لان هذا طبع

الانسان على العموم الأمن هدى الله واستعملت (اذا) لانها اولى بالاستعمال عند ارادة مجرد الربط في الشرط الملازم . فان قلت فلماذا لم تدخل ان على مس الضرر للاشعار بانه مخالف لجرى رحمته ومعاملته خلقه على ما في الاية المارة قلت لا يلزم ذلك ولا كل مقام يقتضيه وفضلاً عن ذلك فان هذا المعنى مدلول عليه بلفظ المس والتخويل فاغنى ذلك عن المخالفة بين الاداتين بخلاف الاية الاولى فن لفظ الشرط (اعني الاصابة) واحد في جانب الحسنة والسيئة فتثلاً يتوهم من نظم الكلام واتفاق لفظ الشرطين ان كلاً من الاصابة بالحسنة والسيئة من باب واحد (اي انه الموافق لجرى احكامه لا فرق بين ان يصاب بعض خلقه بالحسنة او السيئة) عدل الى المخالفة بين الاداتين دفعا لهذا التوهم . فتأمل

ولزيادة التقرير نورد لك آية اخرى « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعهن الى الكفار » فان الجملتين من باب الشرط الملازم والملازمة واضحة كل الوضوح اي وجوب الامتحان اذا جئن مهاجرات وعدم ارجاعهن الى الكفار ان علم ايمانهن وكان مقضى نظم الكلام ظاهراً استعمال اذا في الجملة الثانية الا انه عدل عنها الى (ان) للتنبيه على صعوبة تحقق العلم بايمانهن هذا ما خطر لنا في استعمال (ان واذا) في الشرط الملازم فان لم تر الطبع بتشربه والعقل يسلم بحمته واستقراء كلام الفصحاء ينطبق عليه فارم به عرض الحائط والله يعلم وانتم لا تعلمون

﴿ بحث ثانٍ ﴾

﴿ في استعمال (ان واذا) في الشرط المنفك ﴾

لا بد في ان واذا مع الشرط المنفك من مراعاة اصل معناها فلا تستعمل (اذا) الا للدلالة على اعتقاد المتكلم في ان الشرط مقطوع بوقوعه عنده اذا لم يكن مقطوعاً به في نفسه . وفائدة ذلك راجعة الى ترتيب الجزاء فاذا قلت « اذا زارني زيد غداً ذهبت لزيارتك » فالفائدة هي انك وعدت المخاطب بزيارة مقطوع بها عرفاً والمخاطب في مثل هذه العبارة يتوقع زيارتك توقعاً مقطوعاً به اعتماداً على انك لم تقل « اذا زارني زيد غداً » الا وانت متحقق بزيارته لسبب عندك يوجب ذلك في اعتقادك فاذا ترك المخاطب البيت في الغد فحجت فلم تجده فلك ان تلومه على تركك البيت وعدم انتظارك وليس له ان يقول ما علمت او لم تعدني وعداً يفي الشك بانك ستأتي لان معنى عبارتك هو انك لا تشك بزيارة زيد واذا كنت لا تشك بزيارته فقد صارت زيارتك المعلقة على المقطوع به مقطوعاً بها ايضاً وعلى عكس ذلك اذا لم تأت لزيارة المخاطب فله ان يعاتبك وعليك ان تعتذر عن نفسك ولا يجديك القول نوعاً « ان زيدا ما زارني » لان للمخاطب ان يحجب بقوله ما كان لك ان تؤكد لي مجيء زيد قبل ان تناكده انت بخلاف ما اذا قلت « ان زارني زيد غداً ذهبت لزيارتك » فان للمخاطب ان يشك في زيارتك واذا ترك البيت في ميعاد الزيارة وخرج لشغل له فليس لك ان تعاتبه لان له ان يقول لك ما اكدت لي انك تزورني ولو اكدت لي لا انتظرتك

وكذلك اذا ادخلت (اذا) على شرط متحقق الوقوع في نفسه كقولك لاحد معارفك « اذا كان الظهر غداً اتيت لزيارتك » فانك تكون قد وعدته بزيارة في ظهر الغد مقطوع بها كالقطع بصيرورة الظهر غداً فكأنما انت قلت له لا بد لي من زيارتك غداً الظهر . على ان (اذا) في مثل هذا المثل انما هي للدلالة على ربط الجزء بالشرط اشارة الى ان الجزء من نوع الشرط في التحقق بالنظر الى اعتقادك لا للدلالة على اعتقادك لانه اصبح بالنظر الى تحقق وقوع الشرط في نفسه من باب تحصيل الحاصل واما (ان) فلا يصح ان تدخل عليه للمنافاة بين اصل دلالتها وبين مفهوم الشرط في نفسه كما ذكرنا ذلك مراراً

وخلاصة ما نقوله هنا ان الشرط المتحقق الوقوع في نفسه موضع (لاذا) دون (ان) وغيره صالح لدخول كل منها فاذا ادخلت عليه (اذا) فقد اردت الدلالة على انك تعتقد وقوعه لسبب معلوم عندك واذا ادخلت (ان) فللدلالة على ان ليس عندك من سبب يرجع وقوعه او لا وقوعه واعلم ايضاً انك اذا كنت ترغب في وقوع الشرط او كان وقوعه نافعاً لك او موافقاً لما في اعتقادك او لما في انتظارك او كان المضاف اليه الشرط جديراً به وفقاً للحقيقة او الاعتقاد لجميع هذه قد تقوم عندك مقام الاسباب التي يقطع معها بوقوع الشرط فتكون علة لسوافية استعمال (اذا) وبعبارة اخرى يصح ان تلحق هذه الاغراض التي هي اسباب للقطع وتجعل (اذا) قرينة عند السامع للدلالة على انها مقصودة عندك واذا صح ان تلحق (باذا) هذه الاغراض صح ان تلحق (بان) عكسها كما مرّ فلا يذهب عليك . مثاله

إذا قال لك صديق لا تشك بصدقه سمعت زيدا وعمرا يقولان سذهب هذه الليلة لزيارتك وكان زيد فكها ادبياً وعمرو على عكسه . فاذا قلت في جواب هذا الصديق « اذا جاء زيد ارسلنا وراءك وان جاء عمرو فاذا افرسل وراءك ام لا » كانت (اذا) في الجملة الاولى دليلاً على رغبتك في مجيء زيد و (ان) في الثانية دليلاً على كراهتك مجيء عمرو وهكذا ينبغي ان تخرج الكلام الا اذا اردت الاخفاء والمغالطة فكفتك (اذا) التصريح بلفظ الرغبة او المديح وكفتك (ان) التصريح بلفظ الكراهة او ما في معناها وهي اغراض لطيفة في كلام الفصحاء تنزه كلامهم كثيراً عما يخل بالركة وحسن التهذيب وفي ما ذكرت غنى عما لم اذكره مما لا تفوت اليب معرفة

بقي (لان) على ما يؤخذ من استقراء أمثلتها في كلام الفصحاء وجه اخر في الاستعمال وهو ❖ ايها الشك ❖ وقد غفل البيانيون عن هذا الوجه فاجب لهم ذلك اضطراباً في تخرج أمثلتها في كثير من المواضع ومع كل ما تكافوه في اظهار الوجه المستعملة فيه تطبيقاً على اصلها بقي في تخرجياتهم آثار الكلفة وعدم الانتهاء الى ما يقع

ونحن نشير لك الى هذا الوجه اعني (ايها الشك) والاغراض المرادة منه واول ما تذكره ان ايها الشك لا يكون الا مع الشرط المنفك وثانياً ان أداته لا تدخل الا على شرط قد تحقق وقوعه من قبل كقول المتنبي في بدر بن عمار وقد فصد الطيب فغار المضع أكثر من حقه فاضرب به ذلك

ان يكن البضع ضرباً باطنها فربما ضرباً ظهرها القبل

او على شرط متحقق صدقه كقول المتنبي ايضاً
ان يكن صبرذي الرزينة فضلاً تكن بيننا الاعز الاجلاً
او عدم صدقه كقول ابي العلاء

زعم النجم والطبيب كلاهما ان لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فليست بنادم او صح قولني فالو بال عليكما

فان اضرار البضع بيد ابن عمّار امرٌ تحقق وقوعه فاوهم المتنبي انه
شاك فيه والغرض بذلك تسليّة الممدوح وتطبيب خاطره وربما اراد ايضاً
نفي التشفي عنه وبيان ذلك انه لما اوهم انه شاك باضرار البضع توجه العقل
الى الجزاء عله يرى فيه سبباً للشك فرتب الشاعر على الضرر المذكور في
الشرط ضرراً اخر اوهم انه من جنس الضرر المذكور فيه اي « فربما ضرّاً
ظهرها القبل » فكان بذلك تطيب لقلب الممدوح كما نقول لنادم على خطأ
وقع منه في مسألة « ان كنت قد اخطأت في هذه المسألة فاذا ذكر انك
اصبت في مسألة كذا ومسألة كذا » تعدّد له مسائل ذات شأن كان
اصاب رأيه فيها جميعاً فانك بذلك تطيب قلبه وتصرف ذهنه عن الخطاء
الحاضر الى الاصابة في الماضي وربما قد يمؤّه على نفسه انك لا تعتقد
خطأه في هذه المسألة الا كما تعتقده في تلك التي عدتها له . فعلى هذا
المبدأ جرى المتنبي فانه علق على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر في
الجزاء ادعاء ان الضررين من نوع واحد ولما كان ضرر القبل بظاهر اليد
فيه نحر الممدوح ولا وجه معه لتشفي حاسد لا جرم انصرف الذهن مغالطة
الى ان ضرر البضع يباطنها انما هو من هذا القبيل

واما قوله

ان يكن صبر ذي الرزية فضلاً نكن بيننا الاعز الاجلاً
فانه صرف بايهامه الشك في ما لا شك فيه النظر عن المشكوك فيه وابرزه
اي المشكوك فيه بصورة امرٍ متحقق لا ريب فيه وبيانه انه لولا ايها
الشك بالشرط لكان مساق برهانه على هذه الصورة

« صبر ذي الرزية فضل وانت اصبر الناس فانت افضلهم » والقضية
الاولى متحققة عقلاً واما الثانية فلا . ويمكن فيها اتهامه بارادة التقرب
الى الممدوح فصانع عن كل ذلك بايهام الشك في القضية الاولى فصار
مؤدى كلامه الى هذه الصورة

« ان يكن صبر ذي الرزية فضلاً وانت افضل الناس لانك اصبر
الناس » وعلى هذه الصورة انقلبت القضية الثانية المشكوك فيها في الكلام
الاول الى قضية محققة لا ريب فيها لانه جعلها تعليلاً والتعليل لا يكون
فيه شك كما لا يخفى

واذا علمت هذا فلتتقدم الآن لبيان الاغراض الممكن ان تراد مع
ايهام الشك والاستشهاد على كل غرض غرض بكلام من لا ينازع
بفصاحتهم او لا يشك فيها اصالة والله الموفق الى الصواب

﴿ الاغراض الخطائية التي تبني على ايهام الشك ﴾

(أَوَّلًا) صرف النظر عن الشك بمضمون الجزاء ليوم صحته وانه
قضية مقررة لا يقام عليها برهان كقول المتنبي المار ذكره

ان يكن صبرذي الرزيفة فضلاً تكن بيننا الأعزّ الاجلاً
وقد مرّ بيانه وكقوله ايضاً

ان اكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفوس من مزبد.

والفرق بين البيتين انه حذف السبب في الاول لدلالة الجزاء عليه وحذف
الجزاء في الثاني لدلالة السبب عليه وتحرير البيت انه ان اعجب فيحق لي ان
اعجب لاني لا أجد لاحد مزبة عليّ في فصاحة او شرف ومثله قوله ايضاً
ان بن ما بجوى فقد أبقى له ذكراً يزول الدهر قبل زواله
فانه ادّعى انه يشك في انه يفنى ما حواه ثم قال وان يفنى فلا يضره ذلك
لانه قد ابقى له ذكراً يزول الدهر قبل زواله فانظر كيف صرف الشك
عن المذكور جزءاً واوهم انه من قبيل المتحقق الذي لا يحتاج الى برهان
لا ثباته

(ثانياً) لدفع ما يمكن ان يترتب على الشرط من غضاضة او ما في
معناها تسلية المخاطب وتطيداً لخاطره ويتم ذلك بان يرتب على الشرط ما
يناسب هذه الغاية ادّعاءً او تحقيقاً فمثال الاول قول المتنبي الذي اوردناه
ان يكن البضع ضرّاً باطنها فرما ضرّاً ظهرها القبل

ومثال الثاني الآية في التنزيل «فإن كذّبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير» وتحرير الآية «أن تكذيبهم اياك لما
فيه من الاقدام والاجتراء على دفع الحق الصريح بكاد لا يصدق فان
ثبت وقوعه فلا تحزن واصبر فقد كذب غيرهم غيرك من الأنبياء الذين جاؤا
بالبينات والزبر والكتاب المنير» ولما كان التكذيب الدال عليه الجزاء من

نوع التكذيب الدال عليه الشرط حقيقة وكان من المقرر عند المخاطب ان المكذبين المشار اليهم بالجزاء صبروا وفازوا ولم يلحقهم معرة من تكذيب المكذبين لا جرم كان في ذلك تسلية له وتطبيب من خاطره ودفع لما يمكن ان يترتب على التكذيب من المعرة والتنقص والفرق بين البيت وبين الآية ان مضمون الجزء في الآية من نوع مضمون الشرط حقيقة اما في البيت فعلى سبيل الادعاء كما لا يخفى على المتأمل

(ثالثاً) للبحث على الجزء . وفي هذه الحالة يكون فاعل الشرط والجزاء واحداً متحقق الاتصاف بمضمون الشرط كقول النواعظ «ايها الاخوة او ايها السامعون ان كنتم تحبون الله فاحسنوا الى عياله » اي لا يتحقق عندي انكم تحبون الله الا ان تحسنوا الى عياله وعليه الآية « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » اي لا يصح عندي انكم تعبدونه وحده الا اذا اكلتم الحلال وظهرتم الشكر اما انه للبحث على الجزء فاوضح من ان يوضح وقد قال الامام جلال الدين السيوطي في اتقانه ان الغرض من الشك هنا التهيج والالهاب . ونحن نقول ان الغرض من ايها الشك هنا التهيج والالهاب

(رابعاً) للتكذيب . وظاهر الشرط والجزاء فيه شبهه به في الحث على الجزء والفارق بينهما ان فاعل الشرط متصف به حقيقة في الحث ويدعي الاتصاف به في التكذيب مثاله الآية « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وهم لا يتمنونه وهو الدليل على كذب مدعاهم وقوله ايضاً « وقالوا ان يدخل الجنة الا من

كان هوداً او نصارى تلك امانهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين «
ولا برهان لهم فبطل مدعاهم وظهر عدم صدقهم

(خامساً) التعجيز او التهمك والاستخفاف وهي معانٍ متقاربة يدرك
الفرق بينها بحسن الذوق وصورها وان تكن قريبة من صورة التكذيب
الا انه لا تخفى على اللبيب التمييز بينها وبينه باختلاف المقامات والاعتبارات
ومن امثلتها الآيات الآتية

«لوما تأتينا باللائكة ان كنت من الصادقين» «اسقط علينا كسفاً
من السماء ان كنت من الصادقين» «قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين» «قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون» «ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين»
ومن امثلته في الكلام المتعارف قولك للمفتخر بعلمه على سبيل التعجيز
كسراً من سورة نخره «ان كنت عالماً مجرباً فاذكر لنا في علاج الجذام
غير ما ذكره ابن سينا ان كنت من البارعين» فانك قد لا تتكر علمه ولا
تجربته ولا براعته انما اردت تعجيزه كسراً من حدة نخره ونقول للجاهل
اول الاحق المدعي بالطب وانه وقف فيه على اقوال الاقدمين تهكماً
واستخفافاً «اي فلان افدنا بما قاله بقراط في الحمى وعلاها ان كنت من
الدارسين المحققين» فانك لا تشك بعدم تحقيقه ودرسه انما اوهمت الشك
تهكماً واستخفافاً وهكذا

(سادساً) للتوبيخ . وذلك فيما اذا كان ظاهر حال المخاطب مخالفاً
لمقتضى علمه بمضمون الشرط كقولك للمتكبر «يا هذا ان كنت من تراب

فلا تقتخر» وهذه الجملة يصح فيها ان تكون من قبيل الشرط الملازم اذا ارسلت على سبيل الحكم التعليمي ولم يرد بها مخاطباً بعينه فاذا خصت بمتكبر معين كانت من قبيل الشرط المنفك وكانت (ان) مستعملة فيها لايهام الشك توبيخاً للمخاطب على كبريائه فقس عليها امثالها كقولك لمن يؤذي اياه «ان كان هذا اباك فالاولى بك احسان معاملته»

(سابعاً) للاعتذار . كأنَّ المخطيء يكره الاقرار بخطئه صراحة فيصانع عن ذلك (بان) والشرط كقول المعتذر «ان كنت فعلت هذا فعن خطاء» وعليه قول المتنبي

ان اكن قبل ان رأيتك أخطأت فاني على يدك أتوب
(ثامناً) للتجاهل . كجواب الخادم وقد سأله عن مولاه افي غرفته هوام لا فيقول لك «ان كان فيها اخبرتك» فانه ان قال لك هو في غرفته خاف ملامته فيما بعد او قال ليس فيها فكذلك فيصانعك بايهام الشك الى ان يقف على ارادة مولاه وكقول تليذ مدرسة لرفيقه في كتاب يعلم انه في غنى عنه «ان كنت في غنى عن كتاب كذا فاعرني اياه» فان خوفه من قبح الرد يحمله على هذا التجاهل وايهام انه شاك وليس به شك وهذا كثير في انواع المخاطبات والمكاتبات وربما يعد منه قول المتنبي

ان كنت ظاعنة فان مدامعي نكفي مزادكم وتروى العيسا
بناءً على انه كان متحققاً عنده ظعنهما الا انه اوهم الشك وتجاهل مخافة ان ترد عليه فيما لو صرح ما لا يرضي من الجواب كأن ترفض ما عرضه

عليها في الجزء وهذا النوع كثير في الخطابات دائرة فيها على اللسنة كما لا يخفى

(تاسعاً) لمجارة الخصم في مناظرة وشبهها وعليه قول ابي العلاء

زعم النجم والطبيب كلاهما أن لا معاد فقلت ذاك اليكما

ان صح فوكما فلتست بنادم أو صح فولي فالو بال عليكما

فانه معتقد عدم صحة قولها ومعتقد صحة قوله ايضاً الا أنه اوهم انه شاك بمجارة لما في معالنتها بفساد قولها وصحة قوله من التنفير وتهيج روح المقاومة وعدم التسليم ويلحق بهذا الباب ايها الشك بصحة قضية لا ثباتها من وجهة اخرى كما في البرهان غير المستقيم وهو كثير في الهندسة كقولك مثلاً «ضلعان من مثلث هما معاً اطول من ضلعه الثالث والآخر فالخط المستقيم ليس هو اقرب بعد بين نقطتين»

(عاشرأ) عدم معالنة المخاطب بثبوت ما يعتقد من الشرط لان

في معالنته ما يدعو الى شدة اصراره وتمسكه بمعتقده والمقصود ازالته عنه بيان ما يدل على خطاه . وهذا قريب من الغرض التاسع الا انه في غير مناظرة ولا على صورة برهان ووضح ما يستشهد له به الآية «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» فان ريب المخاطبين واقع لا شك فيه الا انه اوهم الشك بوقوعه وهذا مما يدعوهم الى التساؤل في انفسهم عن سبب الشك فيما هم قاطعون به فتعظم رغبتهم في ايراد السبب لينظروا في صحته وذلك ادعى للتسليم والتنازل عما هم فيه وتحرير القول في الآية «اني اشك بكونكم مرتابين (لعدم الموجب له) فان ثبت فانا

ادلكم على ما يزيله او يحملكم على التمسك به وهو ان تأتوا بسورة من مثله
فان آتيتم بمثله فلكم ان تبقوا على ريبكم وان عجزتم ففي ذلك دليل على عدم
صحة ما يحملكم على الريب « ولا شك ان هذا كلام منصف ومساقة على هذا
الاسلوب مما يدعوه الى التجربة وفي التجربة ونقاصرهم كل مرة عن الاتيان
بمثله اكبر دليل على فساد رأيهم ان كانوا يعقلون . فهذا ما اراه في (ان)
واستعملها ايها الما للشك فليقابل على ما ذكره البيانون وما تكفوه في
تطبيقها على حقيقة الشك وفوق كل ذي علم عليم

﴿ في الجملة الاسمية ﴾

﴿ اعنى جملة المبتدا والخبر على العموم ﴾

﴿ في المبتدا والفرق بينه وبين الفاعل ﴾

قد علمت ان المسند اليه عند البيانين يطلق على المبتدا والفاعل
بالاشتراك الا انا ميزنا احدهما عن الآخر لسهولة البحث ونزيدك هنا وان
كنت تعلم ان الفاعل لا يكون في الاسناد الذي هو حقيقة عقلية الا ما قام
به الفعل او معناه نحو « قام زيد ونام ومرض واكل وشرب الخ » واما
المبتدا فقد يكون ما قام به الفعل نحو « زيد نام وقام واكل وشرب الخ »
وقد يكون ما وقع عليه الفعل نحو « زيد رأته واكرمه » وقد يكون غير
ذلك نحو « زيد قام ابوه واحبب اخلاقه » وبالجملة ان الفاعل لا يسند اليه الا
فعله او معناه بخلاف المبتدا فانه يصح ان يسند اليه ما لا يسه او تعلق به

بوجه من الوجوه كما مرّ بك من الامثلة

بقي فرق آخر بين المبتدا والفاعل وهو ان المقصود اولاً في جملة المبتدا والخبر انما هو المسند اليه فكأنما الذهن ينظر اليه اولاً ثم الى ما لا يسه من الخبر ولذلك كان لفظه مقدماً طبعاً على الخبر فلا يتأخر الا لغرض مما سنذكره . وقد لاحظ النحاة هذا المعنى فقالوا من ثم ان رتبة المبتدا التقديم لانه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فان المقصود فيها اولاً انما هو المسند اي الفعل مضافاً اليه الفاعل ثم ما لا يسه من بقية متعلقاته ولهذا لا يقدم الفاعل على الفعل اصلاً لئلا يلتبس بالمبتدا في انه هو المقصود اولاً ولا يجوز ان تقدم عليه بقية متعلقاته الا لغرض وقد ابنا ذلك فيما مرّ بك في الكلام عن الجملة الفعلية

﴿ في الخبر واقسامه ﴾

الخبر هو المسند الى المبتدا او المحكوم به عليه ويقسم الى قسمين مفرد وجملة والجملة تقسم الى اسمية وفعلية . ثم المفرد لا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً والموصوف اما ان يكون نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه المبتدا به فصارت جملة الاقسام سبعة واليك هي

(١) زيد عندك ام في بيته

(٢) الاجتماع الآن او غداً او في الشهر القادم

(٣) زيد اخوك . رأس الحكمة مخافة الرب . الانسان حيوان ناطق

(٤) زيد أبوه . ابو يوسف ابو حنيفة اي زيد كأبيه وابو يوسف كأبي حنيفة

(٥) زيد عالم . قائم . مؤمن . ذكي . شجاع الى آخره

(٦) زيد لسانه فصيح . زيد نفسه طامحة الى المعالي . الكريم

نفسه تطمع الى المعالي . (٧) المال يعز الدليل والفقر يذل العزيز

فاذا تأملت الجمل المذكورة اعلاه وانتهت لما في محفوظك من استعمالات اللغة علمت ان الاسناد الى المكان كما في الجملة الاولى يدل اقتضاء على زمن الحال وان الاسناد الى اسم الزمان كما في الثانية يدل الموضوع منه للحال على زمن الحال والموضوع للمستقبل على زمن الاستقبال فاذا اردت زمن الحال او الاستقبال في الاسناد الى اسم المكان او الماضي في الاسناد الى اسم الزمان فلا بد من ذكر الفعل الدال على الزمان المقصود نحو كان وسيكون زيد في بيته وكان الاجتماع البارحة . واما الاسناد في المثال الثالث فاذا أخذ على اطلاقه خلوا من سائر الاعتبارات وجب تجريده من كل ما يدل على زمان وسببه ان المقصود من الاسناد في قولنا « رأس الحكمة مخافة الرب » و « الانسان حيوان ناطق » هو ان المفهوم من المسند اليه والمفهوم من المسند يوجد احدهما مع وجود صاحبه مطلقاً لانها شيء واحد فذكر ما يدل على الزمان اذن من قبيل العبث وهولا يخفى على متأمل واما المثال الرابع فبالدال على التشبيه ولذلك فهو من قبيل اسناد الصفة على ما في المثال الخامس ولنا في الصفة ودالاتها على الزمان كلام اليك هو

❖ في ماهية الصفة ودالتها ❖ —

الصفة ما اشقت لما قام به او وقع عليه الفعل وهي تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما فهي من حيث دلالتها على الذات تتصل بالاسماء فتنبون منها نحو « فانه يشرق شمس على الاشرار والصالحين » ويمطر على الابرار والظالمين « او تنعمت وهو كثير نحو « رجل كريم » او تسند اليها نحو « زيد قائم » ومن حيثية دلالتها على الحدث تتصل بالافعال فتسند الى الاسماء نظيرها نحو « زيد قائم » وتقيد بزمان او مكان او سبب او فاعل نحو « اذهب الزيدان اليوم الى بيروت لزيارة صاحبهما » وغير هذه من القيود التي بتقيد بها الفعل كالمفعول المطلق والمفعول له كما لا يخفى

قلنا ان الصفة تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما وتلك العلاقة انما هي علاقة التلبس اي اجتماعهما معاً فاذا تقدم على الصفة ذات اخرى مساوية للذات المدلول عليها بها في التعريف والتكثير كانت تلك الذات المتقدمة مفسرة للذات العامة في الصفة ويستغنى بها عن تقديرها (اعني العامة) ثانية نحو « رجل كريم » او « الرجل الكريم » فان (رجل) هنا فسرت الذات العامة في الصفة (كريم) ونابت منها في التلبس بالحدث . واما اذا ذكر معها ذات اخرى معرفة او نكرة مخصصة نحو « زيد قائم » و « الرجل مسافر » كانت الذات العامة في الصفة مسندة اليها اسناد العام الى الخاص اي « زيد ذات قائم » و « الرجل ذات مسافر » على حد قولنا « زيد رجل صالح » والانسان حيوان ناطق

﴿ دلالة الصفة على الزمان ﴾

لادلالة للصفة في اصل الوضوح على الزمان اصلاً شأن سائر الاسماء الا ان تلبس الذات بالحدث واجتماعها معاً لا بد له من زمان واذا لم يكن في الجملة ما يدل على نوع الزمان تعين زمن الحال الذي هو اصل الزمان باعتبار ان الماضي والمستقبل متفرعان عنه لا نهما يدركان باعتباره فضلاً عن ان تلبس الذات بالحدث الذي هو من مدلول الصفة لا يمكن ادراكه واقعاً فعلاً الا في زمن حال وعليه فقولنا « زيد قائم » انما هو في الاصل اخبار من مشاهد وهو متقدم على الاخبار بقولنا « كان زيد قائماً » « سيكون زيد قائماً » فانك مالم تدرك اولاً قيام زيد واقعاً في المشاهد لا يصح لك ولا يمكن الاخبار عنه بصورة كان او سيكون زيد قائماً والاخبار في كلا الجملتين الاخيرتين انما هو اخبار عن صورة في الذهن منشأها عن صورة في الخارج شوهدت في زمن حال اولاً

والخلاصة ان الزمان المدلول عليه بالصفة المسندة انما هو في الاصل زمان الحال لا غير ولا دلالة لها على الماضي ولا على المستقبل اصلاً ولنا على ذلك برهان لغوي نذكره تنبيهاً لحاظر المطالع فنقول

لا يخفى ان الفعل الماضي يتقيد مع دلالة على الماضي بقيود كالامس والبارحة ومنذ يومين او اسبوعين وهلم جراً وهذه القيود لا تجوز اللغة استعمالها مع الصفة اصلاً فلا نقول زيد قائم البارحة ولا زيد عالم الاسبوع الماضي وهو ظاهر ولو كان للصفة دلالة بالوضع على الماضي كالفعل ما امتنع ان تقيد بما يقيد به من اسماء الزمان كما مر . ومثل ذلك الفعل المضارع في

دلالتة على الزمان المستقبل فانه تدخل عليه ادوات منها افعال المقاربة والرجاء ومنها حروف ايجاب كالسين وسوف او اني كان فان هذه تدخل على المضارع فنقول « زيد كاد او عسى ان يقوم » و « زيد سيقوم او سوف يقوم » و « ان يقوم » بخلاف الصفة فانه معلوم ان هذه الادوات لا تدخل عليها اصالةً فلا يقال « زيد كاد قائماً » ولا « سوف قائم » الخ ولو ان للصفة دلالة كدلالة المضارع على الاستقبال ما امتنع دخول هذه الادوات عليها

بقي انها اي الصفة تدل على الحال لكن لا ينبغي ان تلتبس دلالتها بدلالة المضارع وذلك لانها اي الصفة تدل على التلبس بالحدث فعلاً والمضارع على ابتداء التلبس به ايضاحاً للحال واستحضار تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها تقع فعلاً وذلك ظاهر من بسط امثال اللغة كقولك « رأيت زيداً واقفاً على قدميه » و « رأيت يقف على قدميه » فان مدلول الكلام الاول ان زيداً كان متلبساً بالوقوف على قدميه عند رؤيته فلم ير الا واقفاً عليها بخلاف مدلول الكلام الثاني فانه يدل على ان الوقوف لم يكن حاصلًا انما كان آخذاً في الحصول ولذلك تدخل افعال الشروع كأخذ وابتداء وشرع على المضارع فيقال « اخذ زيد يكتب وابتداءً يقرأ وشرع يتكلم » ولا تدخل على الصفات اصلاً فلا يقال « ابتداءً زيد ما شيئاً » ولا « اخذ متكلماً » وهذا الفرق بمكان من الاهمية فلا يذهب عنك تذكره ولزيد تقريره نقول لك ان الصفة لا بد معها بحسب اصل وضعها من الدلالة على التلبس بحدثها والاتصاف به فعلاً في زمن الحال بخلاف دلالة المضارع فانها على ابتداء وقوعه فتأمل

— ❖ الصفة تدل على الازمنة الثلاثة بالاستمرار ❖ —

— ❖ فمن اين جاءت لها هذه الدلالة ❖ —

اعلم ان هذه الدلالة ليست من اصل وضع الصفة انما هي دلالة خارجية عقلية مستفادة من المشاهدة والاختبار ولذلك كان الفعل يدل عليها ايضاً فالتا نعلم بالاختبار والمشاهدة ان بعض الصفات لم يعرف عنها الا انها مقارنة لموصوفاتها كارتفاع لبنان مثلاً وانخفاض وادي قنوين . ونعلم ايضاً ان بعض الصفات اذا اقترنت بموصوفاتها استمرت على ذلك الى ما شاء الله كخشونة هذا الحجر وملاسه ذاك واستدارة هذا وتربيع ذاك وطول هذا وقصر ذاك الخ في الذوات وكالجود واليخل والحق والحلم والفضة والغاوة الخ في المعاني فان جميع هذه الصفات وامثالها اعني التي لا تفارق محلاتها بعد اذ تنصف بها او التي لم تدركها الا متلبسة بموصوفاتها هي اذا اسندت الى ما يليق بها « نحو زيدٌ جوادٌ حلِيمٌ » و « هذا الجبل مرتفعٌ » دلت على استمرار الاتصاف وتناوات الازمنة الثلاثة من غير تقييد بل تقييدها حينئذٍ من باب العبث لانه تحصيل للحاصل ولذلك فلا تجوزه اللغة ولا يجري على السنة المتكلمين بها الا لغرض كاحضار الازمنة الثلاثة قصداً لدى الذهن كقولك كان ويكون وسيكون زيدٌ شريفاً

وهناك صفات اخرى غير التي ذكرناها وهي تقتضي بطبيعتها التجدد فتفارق موصوفاتها بعد ملابتها لها كالقيام والقعود واليقظة والنام والضرب والقتل وسائر الصفات الاخرى التي يشاهد تعديها من فاعلها الى

مفعول به فهذه جميعها لا تدل إلا على الاتصاف نحو «زيد قائم وواقف وجالس» وهذا اظهر من ان يوضح إلا ان بعضها كاليقظة مثلاً مما يشاهد استمرارها لكن الى مدة لا تتجاوز المفهوم من زمن الحال بحسب المتعارف (لا بحسب المفهوم منه عند الفلاسفة والمتكلمين) قد تدل على الاستمرار نحو «زيد مستيقظ» لكن بين الاستمرار المفهوم منها وبين الاستمرار المفهوم من اسناد العلو الى لبنان مثلاً فرقاً ظاهراً يدركه العقل عند اقل تأمل واستعمال اللغة يفرق بين هذين الاستمرارين وذلك ان الاستمرار المفهوم من اسناد العلو الى لبنان يؤدى بصريح الفعل المضارع كما يؤدى بالصفة بخلاف اليقظة فان استمرارها لا يلح إلا بالصفة المسندة دون الفعل ومثاله انك تقول «ولما قاربنا شطوط بيروت نظرنا فاذا لبنان يعلو من ورائها الى الوف من الاقدام» فتفهم الاستمرار من لفظ الفعل (يعلو) ولكنك اذا قلت مثلاً «ولما دخلنا فسحة الدار نظرنا فاذا زيد يستيقظ» لم يفهم من الفعل استمرار اليقظة لزيد اصاله انما يفهم منه ابتداء تلبسه بحال اليقظة لا غير كما لا يخفى فلا يذهب عليك الفرق بين الاستمرارين وموجهه في الخارج فانه ظاهر المتأمل



﴿ الصفة تدل اقتضاءً على التلبس او الاتصاف بما له علاقة ﴾

﴿ بالحدث المشتقة هي منه لا بالحدث نفسه كالتقصد ﴾

﴿ والاستعداد والقدرة والتقدير والامكان ﴾

﴿ وما في معنى ذلك كالعادة او ما يقرب منها ﴾

علمت مما مرَّ أن مدلول الصفة واقع بخلاف مدلول المضارع فانه
أما في حال الوقوع او انه سيقع وعليه فاذا فهم من الصفة اقتضاء
عدم الاتصاف بالحدث او التلبس به فعلاً فلا بد من دلالتها على التلبس
بشيء والاتصاف به مما له تعلق بالحدث والأخرجت عن اصل دلالتها
وهذا الشيء انما هو التقصد او امر آخر من الامور التي ذكرناها اعلاه
واليك شواهد اللغة على ذلك

قال ابن الاثير (وجه ٣٢٧ طبعة بولاق) « ومما اطربني من ذلك
حديث الخديبية وهو انه جاء بدبل بن ورقاء الخزاعي الى النبي صلعم
فقال له اني تركت كعب بن لؤي بن عامر بن كعب (اي اهل مكة)
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » والشاهد في قوله
(وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت) فان التلبس او الاتصاف بالمقاتلة
والصد لم يكن حاصلًا لهم بعد فلا بد اذن من اتصافهم اي (اهل مكة)
بما له تعلق بالمقاتلة والصد وهو هنا التقصد والاستعداد لذلك بدليل ان
معهم العوذ المطافيل جرياً على عادة العرب اذا ارادوا القتال ولو ابدلت
جملة الشاهد بقولنا (وهم قاصدون قتالك وصدك عن البيت ومستعدون

له (لكان منطوق العبارة هذه مساوياً لمفهوم تلك كما لا يخفى على من تدبر

ومثل ذلك ورد قول الاعشى في اعتذاره الى اوس بن لام عن هجائه اياه وقد اثبتنا مع بيت الشاهد غيره لما فيها من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة قال

واني على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لنائب
واني الى اوس لقبلي عذرتي وبصفح عني ما حيت لنائب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم بشرك فيها خير ما أنت واهب
سأحمو بدح فيك اذا أنا صادق كئاب هباء سار اذا أنا كاذب

ولا يخفى ان دلالة الصفات (نادم) و (نائب) و (راغب)
(صادق) و (كاذب) جارية على اصلها من التلبس بالندم والتوبة الخ
لأنها كلها اعني الندم والتوبة الخ واقع الاتصاف بها وبيت الشاهد هو
الثالث فان القيام بالشكر غير حاصل والشاعر لم يكن قد تلبس به بعد بل
الحياة التي يكون فيها الشكر لم تكن بعد وقعت فهو يطلبها منه ليقوم بشكره
فيها فاذن المراد بقائم اقتضاء قاصد القيام ولو قلنا « فهب لي حياتي فالحياة
لقاصد القيام بشرك فيها خير ما أنت واهب » لاستوى مفهوم المنطوق
في العبارة بمفهوم المندول في البيت

وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق فجاءت الصفة في كلامه دالة على
الاقتدار والاستعداد قال

صبحناهم الشعب الجهاد كأنها فطا هيمنة يوم ربح اجادلة

الى كل حي قد خطبنا بناتهم بارعن جرار كثير صواهلته
اذا ما التفتينا انحنأ رماحنا من القوم ابكاراً كراماً عقائله
وانا لمناعون تحت لوائنا حمانا اذا ما عاذ بالسيف حامله

والشاهد في البيت الرابع في قوله (وانا لمناعون تحت لوائنا الخ) فان المفهوم
من الصفة ليس تلبسهم بالمنع وانه واقع فعلاً بل قصد الشاعر الى ان يفهم
انهم مقتدرون على المنع وبذلك حاصل تلبسهم لما عندهم من اسباب
ذلك من الحيول السريعة وكثرة العدد والعُدُد على ما وصف في الايات
المتقدمة على بيت الشاهد . ولاقتدارهم على المنع بما عندهم من اسبابه الملازمة
جاء بصيغة المبالغة ايضاً ليدل على ان اقتداره على المنع لا يكون لهم مرة بل
لمرات كلما دعا داع لذلك

ومثله في دلالة الصفة على القدرة قول عمرو بن كثوم في معلقته

وقد علم القبائل من معدٍ اذا قيبٌ باطحها بيننا
بأنا المطعمون اذ قدرنا وانا المهلكون اذا ابتلينا
وانا المانعون لما اردنا وانا النازلون بحيث شينا
وانا التاركون اذا سخطنا وانا الآخذون اذا رضبنا
وانا العاصمون اذا اطعنا وانا العارمون اذا عصينا

فان دلالة الصفة على القدرة في اكثر هذه الايات مما لا يحتاج لزيادة
ايضاح الا المطعمون في البيت الثاني فان دلالتها على العادة اظهر من
دلالتها على القدرة كما بين لك ذلك عند التأمل

ومن امثلة دلالتها على العادة على ما ارى قول الاخطل

ماطمون بأعفار الحياض فما ينك من دارمي فيهم أثر

وقول المتنبي

فبأن الطاعنين بكل لدن . مواضع يشنكي البطل السعلا
وياين الضارين بكل غضب . من العرب الاسافل والفلا
اي معتادون ان ياطموا وبأبن المعتاذين الطعن والضرب واما دلالاتها
على التقدير (من قدر الله شيء) فكقول المجتري
هل الشباب لم ي فراجعة أيامه لي في أعقاب أيام
فانه لا يسأل عن اتصاف الشباب بالالمام به ولا عن اتصاف أيامه
بالرجوع له انما هو يسأل عما اذا كان ذلك مقدراً له او عن إمكانه لكن
لما كان ذلك مما يعلم عدم إمكانه انقلب الاستفهام الى التثني وهو ظاهر
وكذلك ورد قول احد المراقبين
وعما قبلت لا شك صائر . الى مالك فافطن لما أنا فائل
اي مقدرة لك الصيرورة الى مالك عما قليل . ومالك الملاك الموكل بالنار
ومنه كل من عليها فان . فان اتصاف كل من عليها بالفناء ليس بواقع فعلاً
والواقع فعلاً اتصاف كل من عليها بامكان الفناء او انه مقدر عليه ذلك
والامثلة على كل ما ذكرنا كثيرة لا تحفى على من توجه نظره للملاحظتها
في كلام الفصحاء واشعارهم والله اعلم

❖ ملاحظات مبنية على ما مر ❖

(١) استعمل الافعال والصفات في مواقعها اللاتقة بها فان كان
مرادك الاتصاف فالصفة اولى وان تصوير الفعل وظهور نتيجته فالمضارع

اولى كقولك « العلم مهذب الطباع » اي منتصف بصفة هذا شأنها فان اردت الى ظهور نتيجه فقل « العلم يهذب الطباع »

(٢) الصفات الثابتة لموصوفاتها لا نعلمها الاً كذلك والصفات التي اذا تلبست بموصوفاتها لا تفارقها الاً لسبب كالصفات الدالة على السجاياء والاخلاق وما في معناها جميع هذه لا تسعمل افعالها الاً مقيدة بقيد لائق بها ووقوعها في النفي اكثر مما في الاثبات وواقع في النفس فتقول مثلاً « جبل عال » و « زيد سمع شجاع عفيف متواضع حلیم صبور ذكي فطن سيد الخ » لا (جبل يعلو) و (زيد يسمح) و (يشجع) الاً مع قيد لائق كأن تقول في الاثبات « جبل يعلو كذا قدماً عن سطح البحر » و « زيد يسمح بماله في بناء المسجد ويشجع اذا جن من سواه » وهكذا واما في النفي فكأن تقول « لا يشجع المرء الاً لسبب ولا يحزن الاً لسبب ولا يذكو العقل الاً مع التهذيب ولا يحلم الجاهل الا عن عجز ولا يتواضع الاً عن خوف » و كقولهم « الحسود لا يسود والكریم لا يبخل والحكيم لا يسرف ولا يشتط والمؤمن لا يقنط من رحمة ربه » زهلم جرأ والمنظور اليه مع الفعل على ما ارى انما هو الى المظاهر المترتبة في الخارج اعني الى ظهور الفعل او ظهور نتيجه فان مفهوم جملة (لا يذكو العقل الا مع التهذيب) مساوٍ لمنطوق جملة (لا يظهر ذكاء العقل الا مع التهذيب) فقس عليه

(٣) ما اقتضى حركة او قلباً او انتقالاً فالفعل اولى بالدلالة عليه من الصفة كقولك « رأيت البحر تضطرب امواجه ويلطم بعضها بعضاً » و « الاغصان تتمايل والماء يجري او يتسلسل » و « نظرت زيدا يجول في

البستان ويركض على الطريق ويرقص ويدور وسمعه يتكلم وينشد ومراً
تفوح منه رائحة المسك ويسحب اذباله مرحاً ويرفل بالدمقس « الى غير
ذلك من الامثلة

واذ فرغنا الان من دلالة الصفة فلننظر في دلالة الجملة الاسمية الواقعة
خبراً على ما في القسم السادس من اقسام الخبر ثم في دلالة الجملة الفعلية
على ما في القسم السابع

— اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا —

زيد لسانه فصيح

لا يخفى ان التبديل ممكن في صورة هذه الجملة مع بقاء المعنى على
حاله فنقول

(ا) زيد لسانه فصيح او

(ب) زيد فصيح اللسان او

(ج) لسان زيد فصيح

الا ان المثال الاول من قبيل الاخبار بالجملة بخلاف الثاني والثالث
فانهما من قبيل الاخبار بالصفة وقد مر بك الكلام في دلالة الصفة فان
قلت فمتى تستعمل احدى هذه الصور الثلاث دون الاخرى قلت ذلك
امر يرجع الى ذوق المتكلم وما يراه من الاعتبارات اللفظية السابقة
واللاحقة فان اراد السجع فربما اختار الثانية فقال مثلاً « زيد فصيح اللسان
ثبت الجنان وواسطة عقد هذا الزمان » او غيره فغيرها على ما يحلو له

وهذا مما لا يقع تحت حصر لاختلاف المقامات والاغراض في الكلام والبحث فيه ضرب من التطويل فلنرجع الى غرضنا من البحث عما في اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا من الاعتبارات المعنوية واول ما ننظر فيه تخريج الاعراب ولم اعلم من نقل في (زيد لسانه فصيح) غير وجه واحد وهو ان زيد مبتدا ولسانه مبتدا ثان وفصيح خبر عن المبتدا الثاني والجملة خبر عن زيد مع انه لا مانع اصلاً من اعراب (لسانه) بدلاً من (زيد) . وسواء جرينا على اعراب المعربين او قلنا بالبدل فالغرض منصب الى اللسان والمراد تقريره في الذهن مضافاً اليه حكمه وهو الفصاحة وتعليقه العقلي على ما ارى انه عند ذكر زيد (وزيد معرفة) يتنبه العقل الى احضار صورته في الذهن مع مشخصاتها ويتهيأ لما يراد نسبته اليها فاذا ذكر لسانه انصرف الذهن اليه دون بقية الشخصات وعلم ان الخبر منصرف اليه خاصة وفي ذلك من التقرير وانصباب الغرض الى اللسان ما لا ينكره الا المتعنت وهذا الاعتبار لا يؤدى على اوضح صورة واقربها للطبع الا بالصورة الاولى

ويمكننا التعليل ايضاً بعبارة اخرى والمآل واحد فنقول اننا ابتدأنا بزيد اولاً فاحضرناه مع اهم مشخصاته في الذهن ثم اخذنا اللسان من بين تلك الشخصات وابتدأنا به ثانية ثم صرفنا اليه الخبر فالغرض اذن منصب الى اللسان وتقريره في الذهن وهو واضح فقص عليه غيره من الجمل كقولنا « زيد نفسه طامحة الى العلا » وامثالها من الجمل الاسمية المسندة الى المبتدا



❖ اسناد الجملة الفعلية الى مبتدا ❖

(المال يعزُّ الدليل) . وهذه الجملة يمكن ان يعتبر فيها عدة اعتبارات منها انا احضرنا صورة المال في الذهن وفكرنا في فوائده او خصوصياته المسئلة عند الجمهور فوجدنا منها انه يعزُّ الدليل ودليله انه يمكننا عطف خصوصياته الاخرى التي نعلمها على الفائدة المتقدمة ولا يلحظ السامع في ذلك نبوة ولا خروجاً عن المألوف من سلسلة الافكار الطبيعية نحو « المال يعزُّ الدليل ويرفع الوضع وينوّه بالحامل ويحل لسان الا لکن » الخ ومنها انا فكرنا في زيد وعمرو وبكر وغيرهم ممن كانوا اذلاء فعزوا فرأينا المال سبباً في اعزازهم فبيننا على ذلك حكماً عاماً يتناول جميع الازمنة الا ان الزمن الماضي منظور اليه من حيث كان سبباً لبنيات الحكم والمستقبل من حيث انه تظهر فيه نتيجته تحقيقاً لعدم تخلف المسبب عن السبب ولما كان المهم معرفة عدم تخلف الحكم في المستقبل لا جرم أتينا بصورة المضارع كما ترى وهذا الاعتبار ملحوظ في كل ما كان من الجمل على هذا النحو نحو « الابن الحكيم يسرُّ اياه والابن الجاهل يحزن امه » و « الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجه يهيج السخط » و « لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجاهل ينبع حماقة » و « الذكي يبصر الشرف فيتوارى والحمقى يعبرون فيعاقبون » و « الهدية في الخفاء تفنئ الغضب والرشوة في الحضر تفنئ السخط الشديد » الخ ومثل هذا قولك « الماء يتألف من عنصرين » فانه حكم عام يتناول جميع الازمنة الا ان الماضي منظور فيه الى التجربة التي اثبتت صحة هذا الحكم واما المستقبل فالى ان الحكم ثابت

فيه تظهر صحته كلما تكررَّت التجربة ولهذا يصح لمن يقول هذه الجملة ان يردفها بقوله « وقد اثبت العلماء بالا متحان صحة هذا الحكم ويمكنك الان تحقيقه بالتجربة الآتية »

ومما قد يصح اعتباره في مثل هذه الجملة ايضاً التقصر إما الحقيقي على سبيل المبالغة او الاضافي على سبيل القلب او التعيين وعليه فيصح فيها ان تردف بقولنا (لا غيره) او (لا كذا) نحو « المال يعزُّ الدليل لا غيره » او « المال يعزُّ الدليل لا عشيرته » وسياًتي معنا الكلام في التقصر واحكامه مفصلاً ومما يصح اعتباره ايضاً الاختصاص وهو عبارة عن اثبات الحكم او نفيه عن المخصوص بقطع النظر عن غيره لمزية فيه اي المخصوص توجب التفات الذهن اليه وعليه فاذا كان المراد اعتبار الاختصاص في جملة المال يعزُّ الدليل كان المعنى اثبات اعزاز الدليل للمال بقطع النظر عن غيره من الاسباب الاخرى كالعلم والعشيرة والتقرب من ذوي السلطة والوجاهة فان جميع هذه لا يراد نفي الحكم عليها بالاغزاز عند ارادة الاختصاص انما يراد صرف الذهن عنها لحصول الاستغناء عنها بالمال وسياًتي لنا كلام في الاختصاص والفرق ما بينه وبين الحصر ان شاء الله

❖ تنبيهات ❖

❖ أولاً ❖

اعلم ان الماضي اذا وقع خبراً نحو « المال أعزُّ زيداً » جاز لنا ان نعتبر معه ما اعتبرناه مع المضارع من التقصر والاختصاص الا ارادة الحكم

العام فانه لا يستعمل بهذا المعنى على ما يشهد به حسن الذوق والبلغاء لا يقولون « المال اعز الذليل » تصويراً لهذا الحكم الكلي اصالة نعم يقولون في سياق البرهان مثلاً « واذا تحقق ان المال اعز الذليل في الماضي كان لنا ان نحكم انه يعزه الآن والى ما شاء الله » فتأمل

❖ الثاني ❖

الصفة ادل على التحقق من المضارع لانها تدل على الاتصاف اما بسبب الحدث او بماله تعلق به كالقصد وغيره مما مرّ بك وعليه فقولنا « العلم مهذب الطباع » ادل على التحقق من قولنا العلم يهذب الطباع لاعتبارنا اتصافه بمخاصة او سبب من شأنه التهذيب في المثال الاول ومجرد الحكم بحصول التهذيب في الثاني ولا يخفى ان اقتران الحكم بما يشير الى سببه ادل على تحقق وقوعه من ارساله بدونه . وأما قوله « وهم مقاتلونك وصادوك » فواضح انها ادل على التحقق من قوله « وهم سيفاتلونك ويصدونك » لدلالاتها على الاتصاف بالقصد والاستعداد كما علمت ذلك فيما مرّ

❖ الثالث ❖

الماضي ادل بطبعه من المضارع على تحقق الوقوع والمضارع ادل بطبعه من الماضي على استمرار الوقوع او تجدد حدوثه . والمضارع ايضاً يلح بطبعه الى الزمان الماضي ويدل عليه أكثر مما يلح الماضي الى زمان الحال او المستقبل ويدل عليه . وعليه فقولك « زيد احسن الى الفقراء » ادل

على التحقق من قولك « زيد سيحسن الى الفقراء » الا ان استمرار تجديد حدوث الفعل مدلول عليه بلفظ (يحسن) اكثر كثيراً مما بلفظ (احسن) وفضلاً عن ذلك انه يفهم من لفظ (يحسن) كونه قد أحسن في الماضي اكثر كثيراً مما يفهم من لفظ (أحسن) انه سيحسن في المستقبل بل كثيراً ما نقول « زيد لا يحسن الى الفقراء » وزيد « انه ما احسن اليهم » والخلاصة ان المضارع قد يفهم منه الماضي مع الايماء الى المستقبل لا سيما بعد (لو) كقول التنزيل « ولو يطيعكم في كثير من الامر لعنتهم » اي « لو اطاعكم » فانه مع افادته الدلالة على الماضي يفيد ايضاً الايماء الى ان ترتب الجواب على الشرط ثابت في المستقبل ايضاً . ولفظ المضارع ادل على هذه النكتة من لفظ الماضي كما يظهر عند التأمل والله اعلم

بحث

— ﴿ في تأثير النفي ﴾ —

﴿ في جملة المبتدا والخبر ﴾

ولسهولة الكلام تقسم الخبر الى مفرد وجملة

﴿ الخبر المفرد ﴾

ولا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً آخر هو اما نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه الخبر به واليك امثلة ذلك على ما مرّ بك قبيل الآن

(١) زيد عندك (مكانه)

(٢) الاجتماع غداً (زمانه)

(٣) زيد مسافر او عالم (صفة من صفاته)

(٤) زيد اخوك (جامد نفس المبتدا في المعنى)

(٥) زيد اخوه او اسد (اي كاخيه او كالاسد)

ولا يخفى ان الاسناد في المثال الاول يراد به ثبوت الوجود لزيد مقيداً بالمكان فاذا دخل النفي عليه نفى القيد فقط دون الوجود المسند الى زيد وهو ظاهر نحو "ما زيدٌ عندك" ومثله المثال الثاني الا ان الوجود مقيد بالزمان فينتفي اي الزمان بدخول النفي نحو "ما اجتماع الجمعية غداً" فان المنفي انما هو كون الاجتماع غداً لا مطلق وقوعه وهو ظاهر ايضاً . فاذا اجتمع الزمان والمكان معاً كقولنا مثلاً "ما اجتماع الجمعية عندك غداً" فالى م يتوجه النفي قلنا لما كان كل من الزمان والمكان خبراً كان المتأخر منهما قيداً للآخر فيتوجه اليه النفي دون صاحبه فاذا قلت "الاجتماع غداً في بيت زيد" فقد اردت الاخبار عن زمن الاجتماع وقيدته بالمكان فاذا نفيت فقلت "ليس الاجتماع غداً في بيت زيد" لم يكن المقصود من الجملة نفي الاجتماع غداً بل نفي انه غداً في بيت زيد وبالعكس اذا قدّمت المكان فان الزمان المتأخر يصبح قيداً له فيتوجه اليه النفي خاصة . بقي انه اذا ادخلت النفي على الزمان او المكان مقدماً على المبتدا كقولك "ليس غدا الاجتماع في بيت زيد" فما المراد من الجملة حينئذٍ قلت المراد توجه النفي الى المتقدم تنصيصاً مع ارادة القصر قلباً او تعييناً اي ليس غداً الاجتماع في بيت زيد بل بعد غدٍ او في زمان آخر واولى بمثل هذا الكلام ان يكون

مع من ينازع ان الاجتماع في بيت زيد غداً وانت تعلم ان الاجتماع في بيت زيد لكن في غير ذلك الزمان فقلب له حكمه من جهة الزمان . او لا يدري اُغداً الاجتماع ام بعد غدٍ فتعينه له

واما الجملة الثالثة اية « زيدٌ مسافر او عالم » فيراد بها ثبوت الاتصاف لزيد بالسفر او بالعلم ولذلك فالنفي الداخل عليها يتوجه الى هذا الاتصاف فينفيه على انه قد يراد احياناً نفي الاتصاف عن المسند اليه واثباته لغيره الا ان هذا لا بد معه من قرينة يدل عليها الكلام على ما جاء في التنزيل « وما انت علينا بعزيز » والا انصرف النفي الى الاتصاف لا غير . واعلم ان حكم الصفة هنا حكم الفعل المسند الى الفاعل في انه اذا لقيدت الصفة بقيد من القيود انصرف النفي اليه كقولنا « ما زيد مسافراً اخوه » و « ما زيدٌ عالماً بالنحو » فاذا قيدت المثالين بقيد اخر زيادة على اقيد الاول انصرف النفي الى القيد الزائد نحو « ما زيد مسافراً اخوه الى دمشق » و « ما زيد عالماً بالنحو كعمرو » وهكذا . واما المثال الرابع اي « زيد اخوك او اخو عمرو » فلا خفاء ان المراد بالاسناد كونها شخصاً واحداً فاذا انتفى الاسناد انتفى تساويهما فثبتت المغايرة بينهما وهو ظاهر . فاذا قلت « ليس زيدٌ اخاك » وانت تعلم انه اخوه فماذا يراد بالنفي حينئذ قلت لا يراد بالاخ حينئذ المعنى المجعول له وضعاً بل شيئاً من لوازم الاخوة كالنصرة والمساعدة والوفاء المعهود بين الاخوة وهذا الشيء هو المراد اسناده في قولنا « زيد اخوك » فاذن يتنفي هذا المراد مع عدم انتفاء المعنى الوضعي للاخ ويكون المقصود من الجملة المنيفة حينئذ « ان زيداً

الذي هو اخوك لما كان لا ينصرك ولا يني حق الاخوة لك فحكمه حكم
الاجنبي لا الاخ» وهو ظاهر ايضاً عند التأمل

بقي المثال الخامس «اي زيد اخوه او اسد» ولما كان الاسناد لاثبات
المشابهة لا جرم انتفت المشابهة بدخول النفي اي ان قولنا «ما زيد اخاه»
مساو لقولنا «زيد لا يشبه اخاه» فاذا زيد قيد على هذه الجملة كقولنا
«زيد اخوه في فعاله» انصرف النفي اليه وهكذا . فان قلت فكيف
تصرف النفي الى المقال لو حده او الفعل لو حده في قولك «زيد اخوه في
مقاله وفعاله» قلت اقول «زيد اخوه في مقاله لا في فعاله» او «في فعاله
لا في مقاله» واتخاص من كل هذا التطويل والفلسفة

واعلم انه يمتنع في الخبر المفرد ان يتقدم عليه النفي دون المبتدا فلا
يقال لغة «زيد ما في الدار» ولا «زيد ما مسافر» ولا «الاجتماع ما غداً»
فان قلت يقولون «زيد ليس في الدار» و«ليس مسافراً» قلت يقدر
(ليس) اسماً فيصير حكم المثال حكم «ليس زيد في الدار» والله اعلم

❖ تأثير النفي مع الخبر الجملة ❖ —

لا يخلو اما ان يكون الخبر جملة اسمية كقولنا «زيد لسانه فصيح» او
فعلية كقولنا «المال يعز الدليل» وفي كل منهما كلام اليك هو

❖ الجملة الاسمية ❖ —

اذا قلت «زيد لسانه فصيح» كان في الجملة احتمالان اما الاول

فارادة القصر او مدلول هذه الجملة مع ارادة القصر مساو لمنطوق قولنا زيد لسانه فصيح دون غيره او دون عمرو (وهذا الاحتمال لا بد من قرينة تدل على ارادته كدلالة المقام او غيرها واما الاحتمال الثاني فارادة مجرد الاخبار عن لسان زيد بالفصاحة مع انصباب الغرض الى اللسان كما مر بك وهذا الاحتمال اولى من الاول عند فقد القرينة وينبغي صرف المعنى اليه واذا مهدنا ما مهدنا نقول اذا دخل النفي على مثل هذه الجملة نحو « ما زيد لسانه فصيح » كان المراد على الاحتمال الاول ان فصاحة اللسان منفية عن زيد ثابتة لغيره واما على الاحتمال الثاني فلا يتعدى معنى الجملة نفي فصاحة اللسان عن زيد ويكون حكم (ما زيد لسانه فصيح) حكم (ما زيد فصيح اللسان) سوى ان الغرض من نصب الى اللسان على ما علمته في الكلام عن الخبر الجملة

﴿ الجملة الفعلية ﴾

اذا قلت « ما المال يعزُّ الدليل » احتمل الكلام نفي الاعزاز عن المال مطلقاً او مع ارادة القصر او الاختصاص له والاحتمال الثاني اولى من بقية الاحتمالات ولا يعدل عنه الاً لدليل او قرينة صريحة تمنع من ارادة القصر وذلك لاسباب

(اولاً) انه ورد في فصيح اللغة ونص عليه ايمتها كقول الرسول صلعم « ما انا حملتكم ولكن الله حملكم » وكقول المتنبي وما انا أسفت جسي يـ ولا انا أضمرت في القلب ناراً

اي بل غيري وكقوله ايضاً
وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعراً
وكقول الآخر

أمر على الديار ديار ليلي فالثم ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

(ثانياً) لو اردت في قولك «ما المال يعزُّ الدليل» مجرد نفي الخبر عن
المبتدا لكان الاولى ان يقال «المال لا يعزُّ الدليل» بتقديم النفي على الخبر
فقط او «لا يعزُّ المال الدليل» بصورة الفعل والفاعل وتقديم النفي على
الفعل وترك هذه الاولوية من دون غرض ولا سبب عبث في كلام البلغاء
فلا بد اذن من سبب لعدولهم عنها وليس هو سوى ارادة نفي الخبر عن
المبتدا واثباته لغيره (وهو المراد من القصر) على ما تبين مما عقبوا به كلامهم
كما رأيت في الامثلة المارة . فان قلت ان المحافظة على الوزن او حسن
الرصف دعت الى التقديم المذكور قلنا ان وروده في الكلام المنشور نحو
«وما انا حملتكم ولكن الله حملكم» لا يصح معه ادعاء المحافظة على الوزن
واما حسن الرصف فالذوق السليم شاهد على انه لا يراد هنا ولا من موقع
له فان (ما انا حملتكم) ليس فيها من حسن الرصف ما يزيد على قولنا
(ما حملتكم) او (ما حملتكم انا) كما لا يخفى على المتأمل

والخلاصة ان الخبر الفعلي اذا تقدم حرف النفي عليه وعلى المبتدا معاً
كان المراد تخصيص الخبر بالمبتدا منفياً عنه ثابتاً لغيره الا اذا دلت قرينة
صريحة على ارادة مجرد النفي لا غير واذا تقدم النفي على الخبر فقط كان

المراد تخصيصه بالمبتدأ منفيًا عنه بقطع النظر عن ثبوته لغيره إلا إذا دلت
قربنة على الثبوت ولا بد من أن تكون صريحة وإلا فلا يعتد بها

—o—o—o—

فصل

﴿ في (كل) ﴾

— ﴿ وقد نقلناه عن مغني اللبيب لابن هشام لما رأينا فيه من ﴾ —

— ﴿ الفائدة النحوية والبيانة وقد تركنا بعض ﴾ —

﴿ ما يمكن الاستغناء عنه وهو مما لو ذكر لشوش ﴾

﴿ على كثيرين من الطلبة والقراء ﴾

« مغني اللبيب وجه ١٦٤ طبع مصر سنة ١٣٠٢ »

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو « كل نفس ذائقة الموت »
والمعرف المجموع نحو « وكلهم آتية » واجزاء المفرد المعرف نحو « كل زيد
حسن » فاذا قلت « اكلت كل رغيف لزيد » كانت لعموم الافراد فان
اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرد واحد — وترد (كل)
باعتبار كل واحد مما قبلها وما بعدها على ثلاثة اوجه فاما اوجهها باعتبار
ما قبلها (فاحدها) ان تكون نعتًا لذكر او معرفة فتدل على كماله وتجب
اضافتها الى اسم ظاهر يماثل لفظًا ومعنى نحو « اطعمناه شاة كل شاة » وقوله
وان الذي حانت بفلج دمارهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

(والثاني) ان تكون تأكيداً للمعرفة - او لنكرة محدودة وعليها فنفاذتها العموم ويجب اضافتها الى اسم مضمير راجع الى الموكد نحو « فسجد الملائكة كلهم » قال ابن مالك وقد يخلفه الظاهر كقوله

كم قد ذكرتك لو اجدى تذكركم بأشياء الناس كل الناس بالقر
- ومن تأكيد النكرة بها قوله

نلتك حولاً كاملاً كله لا نلتني إلا على منيح

(والثالث) ان لا تكون تابعة بل تالية للعوامل (قال العلامة الامير لعلمه اراد التلو المعنوي اي النثر ليشمل الابتداء) فتقع مضافة للظاهر نحو « كل نفس بما كسبت رهينة » وغير مضافة نحو « وكلاً ضربنا له الامثال » .
واما اوجهها الثلاثة التي باعتبار ما بعدها (الاول) ان تضاف الى الظاهر وحكمها ان يعمل فيها جميع العوامل نحو « اكرمت كل بني نعيم » (والثاني) ان تضاف الى ضمير محذوف ومقتضى كلام التحوين ان حكمها كالتي قبلها ووجهه انها سيان في امتناع التأكيد بهما و (الثالث) ان تضاف الى ضمير ملفوظ به وحكمها ان لا يعمل فيها غالباً إلا الابتداء نحو « ان الامر كله لله » فحين رفع كلاً ونحو « وكلهم آتية » - (فصل) واعلم ان لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير وان معناها بحسب ما تضاف اليه فان كانت مضافة الى منكر وجب مراعاة معناها فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو « وكل شيء فعلوه في الزبر » و « كل انسان الزمناه » وقول ابي بكرٍ وكعبٍ وليدٍ رضى الله عنهم

كل امرئ مصبح في اهله والموت ادى من شرك نعلو

كل ابن انثى وان طالَّت سلامته يوماً على آله حدياء محمول
الأكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وقول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
ومفرداً مؤثراً في قوله تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة كل نفس ذائقة الموت »
ومثني في قول الفرزدق

وكل رفيفي كل رجل وانها نعاطي الفنا قوماً لها أخوان
ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى « كل حزب بما لديهم فرحون » وقول ليبيد
وكل اناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الانامل
ومؤثراً في قول الآخر

وكل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحاب هيئة الخطب
وهذا الذي ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة نص عليه ابن مالك
ورده ابوحيان بقول عنزة

جادت عليه كل عين ثرة فزكن كل حديفة كالدهر
فقال تركن ولم يقل تركت فدل على جواز كل رجل قائم وقائمون والذي
يظهر لي خلاف قولها وان المضافة الى المفرد ان أريد نسبة الحكم الى كل
واحد وجب الافراد نحو « كل رجل يشبعه رغيف » او الى المجموع وجب
الجمع كبيت عنزة فان المراد ان كل فرد من الاعين جاد وان مجموع
الاعين تركن وعلى هذا فنقول « جاد علي كل محسن فاغنائي » او (فاغنوني)
بحسب المعنى الذي تريده - وان كانت (كل) مضافة الى معرفة فقالوا

يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها — والصواب ان الضمير لا يعود اليها من خبرها الا مفرداً مذكراً على لفظها نحو « وكلهم آتية يوم القيامة » (الآية) وقوله تعالى فيما يحكيه عنه نبيه عليه الصلاة والسلام « يا عبادي كلّم جائع الا من اطعمته » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « كلّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها . كلّم راع وكلّمكم مسؤول عن رعيته وكلنا لك عبد » — ومن معناها الجمع فان قطعت عن الاضافة لفظاً فقال ابو حيان يجوز مراعاة اللفظ نحو « كلّ يعمل على شاكلته » — ومراعاة المعنى نحو « وكلّ كانوا ظالمين » والصواب ان المقدر يكون مفرداً نكرة فيجب الافراد كما لو صرّح بالمفرد ويكون جمعاً معرّفاً فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تبهياً على حال المحذوف فيها فالاول « كل يعمل على شاكلته كل آمن بالله كل قد علم صلاته وتسميته » اذ التقدير كل واحد والثاني نحو « كل له قاتنون كل في فلك يسبحون وكل اتوه داخرين وكل كانوا ظالمين » اي كلهم

❖ — مسئلتان — ❖

(ويهنا الأولى منها)

(الأولى) قال البيانون اذا وقعت (كل) في حيز النفي كان النفي موجهاً الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك « ما جاء كل القوم » و « لم آخذ كل الدراهم » و « كل الدراهم لم آخذ » وقوله « وما كل رأي الفتى يدعوا الى رشد » وقوله « ما كل ما يتمني المرء »

يدركه» وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذواليدين « أنسيت أم قصرت الصلاة كل ذلك لم يكن » وقول ابي النجم

قد أصبحت أم الخبار تدعي علي ذنباً كله لم أصع

وقد يشكل على قولهم في القسم الاول قوله « والله لا يجب كل مختال نفور » وقد صرح الشلوين وابن مالك في بيت ابي النجم بانه لا فرق في المعنى بين رفع (كل) ونصبه ورد الشلوين على ابن ابي العافية اذ زعم ان بينهما فرقاً والحق ما قاله البيانون والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً . انتهى ما اردنا نقله عن العلامة ابن هشام بلفظه مع بعض الحذف كما اشرنا

❖ في ترتيب جملة المبتدا والخبر ❖ —

علمت فيما مرّ ان المبتدا مقدم طبعاً على الخبر وانه هو الذي يخطر اولاً في الذهن ثم حكمه المتعلق به وعليه فالترتيب الغالب ان يذكر المبتدا اولاً ثم الخبر وهذا يكاد يكون مطرداً فيما اذا كان الخبر صفة للمبتدا . كريد فاضل . والادب حلية . والمعرفة قوة . او جملة خبرية مسندة اليه كقوله العلم بيني وبيننا لا عماد لها وانجهل يهدم بيت العز والحسب وكقول الآخر

هو طرفوا عنها بلياً فأصبحت بلياً بواد من نهامة غابر

وكقول الآخر

الله أعطاك الذي أعطيتك وحباك بالنضل الذي لا ينكر
وامثلة ذلك كثيرة

وكذلك اذا كان المبتدا اسم اشارة او ضميراً لمتكلم او مخاطب فانه
اول ما يخطر حينئذ في الذهن ولذلك فيقدم لفظاً وفقاً لتقدمه ذهنياً
واليك بعض الشواهد على ذلك

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والّا فلا لا
ونحو هذا أبو الصفر فرداً في محاسنه من نسل شيان بين الضال والسلم
ونحو هذا المعد لربب الدهر مصابنا أعد هذا لرأس الفارس البطل
ونحو أنا الذي نظر الاعى الى أدبي وأسعت كلماتي من به صم
ونحو أنا لاني ان كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم
ونحو والهجر اقبل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من الليل
ونحو وانت التي أخلتني ما وعدتي وأثبت لي من كان فيك بلوم
ونحو أنت منا فنتت نفسك لكنك عوفيت من ضني واشنياق
ونحو أنت أعلى محلة من أن تنها بكان في الارض أو في السماء
الى غير ذلك من الامثلة التي لا تحصى . ولو ان كل جملة مؤلفة من
المبتدا والخبر بحسب الصناعة يراد بها مجرد الاخبار او قصد افادة المخاطب
حكماً بامر على آخر مجهول عنده لكان قلماً يخلف الترتيب الذي ذكرناه
الّا أنه كثيراً ما يراد بالمبتدا والخبر اظهار انفعالات نفسانية كالتعجب
والاستعظام والدعا والمدح والذم واشباه ذلك من الاغراض المعنوية فضلاً
عما يعرض من الاغراض اللفظية مما يدعو الى عكس الترتيب الذي ذكرناه

وتقديم الخبر . ولو انه يتهيأ لكل منشم بحرفة الادب ان يقف على كلام
البلغاء ويوفيه حقه من التأمل والنظر لو كنا الى حسن ذوقه معرفة المواطن
التي يتقدم فيها المبتدا والمواطن التي يتقدم فيها الخبر . ولتعذر هذا على
كثيرين رأينا ان نذكر بعض الملاحظات يستعين بها المبتدي على معرفة
بعض المواطن التي يتقدم فيها كل من المبتدا والخبر على الآخر واليك هي

— * ملاحظات على تقديم المبتدا * —

(١) قدم المبتدا اذا كان في تقديمه تشويق الى الخبر نحو « ان
اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكقوله . والذي حارت البرية فيه حيوان مسخدت من جماد
وكقول الآخر

ان التي زعمت فؤادك مأها خلفت هواك كما خلفت هوى لها

(٢) قدم المبتدا اذا طال الخبر اما لتعدد الاخبار او لكثرة القيود

في الخبر وسببه في الغالب ان الذهن يشق عليه توقفه في انتظار المبتدا
ليسند اليه الخبر ولانه قد يغفل عن اوائل الخبر وارادة حماها على المبتدا
كقولك « الادب آلة يستعين بها الفقير وحلية يتزين بها الغني » ونحو
« أنت جميلة يا حبيبتى كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بالوية »
ونحو « عنقك كبرج داود المبني للأسلحة الف محن علق عليه كلها اتراس
جبابرة »

واعلم انه اذا طال الخبر وتعدد فكثيراً ما تقتضي البلاغة اعادة المبتدا

ثلا يغفل الذهن عنه

(٣) قدم المبتدا اذا تقيّد المبتدا باحد القيود التي يمكن ان يصدق الاسناد اليه بدونها كقولك «العلم وان ضاق بصاحبه الرزق خير من الجهل وان اتسعت بصاحبه كل أسباب الرزق»

(٤) قدم المبتدا اذا كان الحكم المسند اليه عاماً او بمنزلة العام

كقوله

وكل فتىً يولي الجميل محب وكل مكان يبيت العزّ طيب
وكقولو وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل
وكقولو ما كل ما يمتنى المرء بدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
وكقولو ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وإن تتفانى
وكقولو وأسرع منقول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده
وكقولو وما كل هاو للجميل بفاعل ولا كل فعال له يتم
(٥) قدم المبتدا اذا كان الخبر مشبهاً به بعد كاف التشبيه كقوله

«ليس التكحل في العينين كالكحل» وكقوله

وما صباية مشتاق بلا أمل من اللفاء كمشتاق بلا أمل
ما أوجه الحضرة المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب
والعمر كالكناس نستحلي أوائله لكنه ربما مجتأ أواخره

(٦) قدم المبتدا اذا خلا الذهن عنه وعن الخبر وهو كثير شائع

وسببه ان الذهن ينتظر بطبعه الحكم بعد المحكوم عليه والخبر بعد المخبر عنه

(٧) لا تنس في تقديم المبتدا المواطن التي نص عليها النحاة

في مطولاتهم

﴿ ملاحظات على تقديم الخبر ﴾

(١) قدم الخبر في مقام التعجب والاستعظام والمدح والذم والترحم والتقديس والتنزيه والدعاء واشباه هذه الاغراض التي يشف فيها الخبر عن انفعالات في النفس نحو « الله انت . الله درك . الله ما صنعت . عظمة هي اعمالك يارب . عظمة هي ارطاميس الافسيين . نعم الرجل زيد . نعم الدار دار الاخيار وئس الدار دار الفجار . ملعونة الارض بسبك . ملعون كل من ينتسب الى غير ابيه . مسكين ابن آدم ما اكثر امله واقل عمله . مساكين آل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل دون الخلائق

مبارك انت يارب اله ابائنا . مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يدي القتال واصابعي الحرب . قدوس قدوس رب الصباوت . متعال انت يارب عن إدراكنا وبعيدة افكارك عن افكارنا وطرقك عن طرقنا . معمورة دارك . في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغناك بمرعه حرام على قلبي السرور فاني اعد الذي مانت بها بعدها سماً

(٢) قدم الخبر المشبه به اذا عقبته لفظة (هكذا) قبل ذكر المبتدا ولا يكون المشبه به ههنا الا متعارفاً مشهوراً نحو « كالسوسنة بين الشوك هكذا حبيتي بين البنات . كالتفاح بين شجر الوعر هكذا حبيتي بين البنين تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لخلي » فانه الطف وابلغ من العكس كما لا يخفى على ذي ذوق سليم

(٣) اذا كان الخبر معلوماً او مشخصاً لدى المتكلم مسنداً الى فرد لا على التعيين من افراد موصوف نكرة او مخصص بوصف او اضافة كقوله

اهل ما ي من الضنى بطل صيد بتصنيف طرّة و مجيد
وكنفوله مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودة من حديد
وكتثيل النخاة» عندي كتاب وفي الدار رجل « و ربما ينازع في (مفرشي) انها
المبتدا والمتأمل يرى انها اولى بان تكون خبراً لان تشبيهه صهوة الحصان
بالمفرش أظهر وانسب من العكس

(٤) قدم الخبر في المواطن التي ذكرها النخاة في مطولاتهم وصرحوا
انه يجب فيها تقديم الخبر وامثلة ذلك كثيرة قد عرفتها من النحو فلا
حاجة بك لاعداد ذكرها

بقي ان نشير الى متعلقات المبتدا والخبر والترتيب بينها وهنا نقول ان
الاصل ان يذكر المبتدا ومتعلقاته ثم الخبر ومتعلقاته او بالعكس كما رأيت
في اكثر الامثال المارة الا انه قد يمكن مخالفة هذا الترتيب فيتقدم بعض
معمولات الخبر او كلها عليه وقد يتقدم بعضها او كلها على المبتدا ايضاً اما
متعلقات المبتدا فقلما تقع بعد الخبر الا نادراً وفيما اذا كانت ظرفاً ايضاً
لكن هذا التقديم والتأخير لا يكون غالباً الا لغرضٍ كالمحافظة على الوزن
او القافية او الفاصلة او لحسن الرصف ولا بدّ معه من المحافظة على منع
الالتباس وتجنب التعقيد على ما مرّ بك في ترتيب الجملة الفعلية ولولا
خوف الاطالة لا كثرت لك من ضرب الامثلة على اننا مع ذلك نذكر لك
المثال الآتي والتراكيب الجائزة فيه لقيس غيره عليه (لا يذهب عليك ان
باب النواسخ من قبيل المبتدا والخبر) (والمثال منقول عن كتاب المعاني
والبيان للاب شيخنا اليسوعي طبع ببيروت) واليك هو

لا برحت شمس سعوده في دائرة النصر دائرة . واقمار اقباله في افلاك
العز سائرة . وطوالع جده على الآفاق مشرقة . وكواكب مجده بنجوم
السعد محدقة . واليك الترتيب الممكنة الجائزة في الجملة الاولى مع بقاء
المعنى على حاله من غير التباس ولا تعقيد

(١) لا برحت في دوائر النصر شمس سعوده دائرة (ب) واقمار
اقباله سائرة في افلاك العز

(٢) لا برحت في دوائر النصر شمس سعوده دائرة (ج) وفي
افلاك العز اقمار اقباله سائرة

(٣) لا برحت في دوائر النصر دائرة شمس سعوده (د) وفي
اقمار العز سائرة اقمار اقباله

(٤) لا برحت دائرة شمس سعوده في دوائر النصر (هـ) وسائرة
اقمار اقباله في افلاك العز

(٥) لا برحت دائرة في دوائر النصر شمس سعوده (و) وسائرة
في افلاك العز اقمار اقباله

فهذه خمس صور ما خلا الصورة الاصلية وجميعها جائزة لعدم وقوع
التياس او تعقيد في شيء منها اما اختيار احدي هذه الصور دون الاخرى
فراجع الى ترجيح الكاتب وبه يظهر حسن ذوقه اذا كان بينها تفاوت .
واعلم انك اي ترتيب اخترت فيقضي عليك رعاية للمطابقة ان تجري عليه
في الجمل المعطوفة كما ترى في الاحرف الابدادية قبالة الارقام الهندية
والله اعلم

❖ في حذف المبتدا وذكره ❖

قبل ان نذكر لك شيئاً عن حذف المبتدا او ذكره لا نرى بدءاً من
اعادة القول ان الاختصار مطلوب في اللغة وان تكليف الذهن للانتباه
الى ما هو في غنى عن الانتباه اليه مخالف للبلاغة . ومن جهة اخرى نقول
ان المطلوب باللغة في اكثر الاحيان تمكين الفكر في ذهن السامع لا مجرد
نقله اليه كيف اتفق ولذلك فمجرد التعبير عن الفكر من دون مبالاة في
كيفية ايصاله الى ذهن السامع وتقريره فيه ايجاداً لا اثره المقصود في
النفس على ما هي الغاية من التخاطب والتفاهم مخالف للبلاغة ايضاً فاذا كان
ذكر المبتدا مثلاً لا يزيد في تقريره في النفس اولا فائدة من تقريره
فيها وسيان من هذا القبيل ذكره وحذفه فالاولى حذفه ما لم يكن هنالك
غرض لفظي لذكره كالمحافظة على وزن او قافية وعلى العكس اذا كان
المقصود لتقريره في النفس لغاية من الغايات ولا يتأتى التقرير بدون اعادة
ذكره امتنع حذفه وان وجد الف قرينة تدل على الحذف والمحذوف معاً
والف غرض ايضاً من الاغراض اللفظية الداعية الى الحذف كالمحافظة على
وزن او قافية او فاصلة او رعاية لمطابقة او حسن رصف فاعرف هذا

ثم نقول لك ايضاً ان الحكم على هذا الفكر او على هذا المبتدا انه
يلزم ذكره لتقريره في الذهن وعلى ذاك انه لا يلزم جميع ذلك مما لا يمكن
وضع ضابط له اصلاً والكلام فيه ضرب من العبث بل ذلك امر موكل
الى حسن ذوقك لا يراجع فيه الا نفسك وبه يظهر فضل بلاغتك ومثانة
تراكيبك ان خطاباً او كتابة وغاية ما هنا لك انه يمكن لنا التنبيه الى

بعض الاغراض التي يصح معها الحذف او الذكر اما ان هذه الاغراض متحققة في هذا الموقف دون ذاك فلا واليك بعض هذه الاغراض

— ﴿ الاغراض التي تدعو الى حذف المبتدا ﴾ —

اعلم اولاً انه لا يصح الحذف الا اذا وجدت قرينة تدل على المحذوف اما القرينة وتكون معنوية او لفظية فلا يمكن وضع ضابط لها بل تعرف من كل مقام بحسبه بخلاف الاغراض فانه يمكن التنبيه اليها واليك اشهرها على ما ذكره البيانون

(١) احترازاً عن العبث في الكلام . ومعنى ذلك على ما ارى ان الذكر لا يزيد الكلام قوة ولا يساعد على سهولة الفهم كجواب من تسأله « الى اين انت ذاهب » فيقول لك « الى المدينة » فان ذكر « انا ذاهب » من العبث في الكلام كما لا يخفى وارى منه قول القائل

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب نأوي اليه كواكبه

فان التقدير لا يكون الا « هم نجوم » او « هؤلاء القوم نجوم » ولا فائدة من ذكر المبتدا هنا الا مجرد الربط والربط مفهوم كل الفهم من دلالة المقام عليه . وذهب الامام السيوطي الى ان الغرض هنا « صوته عن ذكره له بلسانك تعظيماً له » ولا ارى موجباً لهذا التكلف والله اعلم

(٢) محافظة على وزن اوقافيه وقد اجتمع الامر ان في قول الشاعر

على أنني راض بان أحمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا

وهي اي عبارة « لا علي ولا ليا » اصبحت من الكلام المتعارف حتي صار حذف المسند اليه فيها من قبيل الاحتراز عن العبث في الكلام . علي انه قد يراد بالمسند اليه فيها مخصوص بعينه فيجب حينئذ ذكره كقولك مثلاً « ما علي ما يقال ولا لي ما اقول »

(٣) الاحتراز من فوات الفرصة كقول الصياد « غزال » وارى

ان الذكر هنا ايضاً من عبث العبث في الكلام

(٤) اتباع العادة في الاستعمال كقولهم « رمية من غير رام » والجملة

مثل الآن واول من قالها الحكيم بن عبد يغوث المنقري والقصة مشهورة الا ان الحذف وقع فيها ابتداءً للاحتراز عن العبث في الكلام كما لا يخفى

(٥) ومن اغراض الحذف على ما ذكر البيانون تاتي الانكار

والجحد واختبار السامع هل يتنبه ام لا واختبار مقدار تنبيهه هل يتنبه بالقرائن الخفية ام لا اه

وجميع هذه الاغراض تاتي في المحادثات الشفاهية اكثر مما في

الكتابة وفي المواقف الخاصة دون العامة فلا يصح للخطيب ان يوردها وودو

يخطب على ملاء من القوم ولا للكاتب ان ياتي بها في كتاباته التاريخية ولا

الوصفية ولا التعليمية بل لا يرى لها مقام الاعلى سبيل اللغز او التعمية

ولذلك تركنا التمثيل لها لعدم جدواه ولو مثلنا اطلال بنا الكلام على غير طائل

والله اعلم



❖ الأغراض التي تدعو إلى ذكر المبتدا ❖

وأما ذكر المبتدا مع وجود قرينة يصح معها حذفه فلا أغراض منها
(١) زيادة الإيضاح والتقرير (عقود الجمان) كالآية « أولئك
على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »

(٢) قصدًا للفخر ويغلب ذلك مع ضمير المتكلم كقول عمرو بن كلثوم

وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحها بيتنا
بأنا المضمون إذا قدرنا وأنا المملكون إذا ابتلينا
وأنا الممانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطنا وأنا الآخذون إذا رضبنا

فإذا كان المبتدا مخاطباً أو في حكمة كالإشارة إليه فالغالب أن المقصود من تكراره
زيادة مدح أو تعظيم يتوسل بهما إلى حمل المخاطب وإشراكه في أمرٍ يتخوف
انحرافه عنه أو معارضته له كقولك موجهًا الخطاب إلى من هو أهل له
كزيد مثلاً . أنت يامولاي ساعدتنا في كذا وانت ساعدتنا في كذا وانت
صنعت بنا كذا وانت قلت لنا كذا وانت وانت الخ فحاشاك إلا تمد يدك
الآن لمساعدتنا ونحن في أشد الحاجة إليها . فإن تكرار الخطاب مما يستخف
المخاطب للإجابة ووعد المساعدة وصرفه عما كان ربما ينويه من المعاكسة
والمعارضة كما يظهر للتأمل وقد يكون ذلك للتنشكي من المخاطب واستعبابه
كقول ابن الدمينه في محبوبته أمانة

وأنت التي كلنتني دلج السرى وجون الفطا بالجلهين جنوم
وأنت التي قطعت قلبي حرازة وقرفت جرح القلب فهو كليم

وَأَنْتَ الَّتِي أَحْفَظْتَ أَهْلِي فَكَلِمَ بَعِيدَ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمٍ
أَوَّلِ التَّعْنِيفِ وَالتَّقْرِيعِ أَمَّا التَّعْنِيفُ فَكَقَوْلُ أَمَامَةِ الْمَذْكُورَةِ جَوَابًا عَلَى
ابْنِ الدِّمِينَةِ

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَاشْتَمْتُ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ بُلُومٌ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَمْ غَرَضًا أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكَلِّمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجَسَمِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كَلُومِ
الْأَنَّهَا لَمْ يَتَّهَمُوا لَهَا تَكَرُّارَ الضَّمِيرِ أَنْتَ كَمَا تَهْتَمُّ لَابْنِ الدِّمِينَةِ فَإِنْ قُلْتَ فَلِمَ
لَمْ تَقُلْ فِي بَيْتِهَا الثَّانِي (وَأَنْتَ) كَمَا قَالَ ابْنُ الدِّمِينَةِ وَأَنْتَ قُلْتَ لِأَنَّ مَعْنَى بَيْتِهَا
الثَّانِي غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ عَنْ مَعْنَى بَيْتِهَا الْأَوَّلِ فَإِنْ اخْتَلَفَ وَعَدَهَا وَاشْتَمَّهَا بِهَا مِنْ
كَانَ يَلُومُهَا فِيهِ هُوَ نَفْسُ إِبْرَاهِيمَ لِلنَّاسِ وَتَرَكَهَا لَهَا غَرَضًا وَلَوْ أَنَّهَا جَاءَتْ
بِإِيتٍ آخَرٍ مُسْتَقِلٍّ فِي مَعْنَاهُ تَعْنِيفُهُ فِيهِ عَلَى فَعْلِهِ لَكَانَ الْمَرْجَحُ أَنَّهَا كَرَّرَتْ
ذَكَرَ الضَّمِيرِ أَنْتَ وَلَكَانَ التَّكَرُّرُ وَقَعًا فِي مَحَلِّهِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ مِنْ
رَوْنَقِ الْبَلَاغَةِ

وَأَمَّا التَّقْرِيعُ فَلَمْ أَظْفِرْ لَهُ بِشَاهِدٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَجُودْ بَلْ لَعْدَمِ الْإِطْلَاعِ
وَلِقَلَّةِ مَا يَبِينُ أَيْدِينَا مِنَ الْخُطْبِ الْمَحْفُوظَةِ وَاعْنِي بِالتَّقْرِيعِ تَعْدَادَ مَعَائِبِ
الْخُصْمِ مِنْ قَرَعِهِ بِالْعَصَا إِذَا ضَرَبَهُ بِهَا كَقَوْلِكَ مَنْ تَرِيدُ تَقْرِيعَهُ «أَنْتَ فَعَلْتَ
كَذَا وَأَنْتَ فَعَلْتَ كَذَا وَأَنْتَ فَعَلْتَ كَذَا» إِذَا كَانَتْ أَعْمَالُهُ تِلْكَ
مَعَائِبَ وَمَسَاوِي

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرًا لِمَعَائِبٍ فَيَرَادُ مِنْ تَكَرُّرِهِ الْمَدْحُ وَالتَّعْظِيمُ
فِي الْغَالِبِ كَقَوْلِ بَعْضِ الْفَضَلَاءِ فِي الْفَضِيلَةِ

« هذه هي الفضيلة التي حام حول وصفها الفلاسفة والعلماء والشعراء والخطباء منذ الوف من السنين بل هي التي تمثلت من قبل للذين سادوا وشادوا في بلاد النيل فعضموها وعبدوها وبنوا لها الهياكل العظام الباقية آثارها حتى اليوم بهجة للناظرين ودهشة للباحثين وهي التي تراءت للام نابغة على ضفاف دجلة والفرات فشادوا لها الهياكل طباقاً ولم تزل انقاضها حيرة للناقبين بل هي التي دانت اليوناني لسمو قدرها فحنى لها الهام خشوعاً في اكر بوله الباهر وهي هي التي عنى الروماني فسجد لها خضوعاً في كايبوله الفاخر » اهـ

ولا يذهب عنك ان تكرار الضمير هنا فائدة اخرى وهي تنبيه' الذهن لربط هذه المسندات بالفضيلة ولولاه' لحيف من غفلة الذهن عنها وعدم انتباهه في ردّ هذه الاخبار اليها

فان قلت كيف جاء الفخر والمدح والتعظيم والتشكي والتعنيف والتقريع قلت جاء ذلك من قبيل الخبر فان الخبر اذا كان من المستحبات فاسناد المتكلم اياه الى نفسه من قبيل الفخر كايات عمرو بن كاثوم فاذا اسند الى مخاطب او غائب انقلب الفخر الى مدح وتعظيم والمدح والتعظيم للمخاطب هدية ورشوى يستعان بهما على المساعدة كما يستعان بالهدايا والرشى فان كان الخبر مما يؤلم فهو من المحب الطالب كابن الدمينه شكوى واستعطاف ومن المحبوب المطلوب كامامة لرم وتعنيف ومن غيرهما كالخصم مثلاً تقريع وتبكيك . فان قلت وما فائدة تكرار المبتدا قلت فائدته ان الذهن يصوره في كل مرة يذكر فيها مع الخبر فان كان المتكلم او غائب تشخص

لدى الذهن مقرونًا بما نسب اليه في الخبر وفي هذا مأمن من ان يمرّ
الذهن بالخبر من غير ان يسنده الى صاحبه او يصرفه ذهولاً الى خلافه
وان كان المبتدا مخاطب تنبيه المخاطب في كل مرة يذكر فيها الى الهدية
او الرشوى المهداة اليه في الخبر والله اعلم

(٣) الاستخفاف بالمبتدا حرصاً على تنفير السامع مما نسب اليه
وعدم قبوله ولا يكون ذلك الا اذا كان المبتدا معرفة معينة وممن رسخ في
ذهن المخاطب حقارته او النفور منه وفقاً لقول المتنبي
واني رأيت الضرَّ أحسن منظراً وأَمون من مرأى صغيره كبرُ

كقول الخطيب الواعظ ابليس يقول لكم كذا وابليس يقول لكم كذا
وابليس يصوّر لكم كذا الخ وعلى عكس ذلك قد يكرّر ذكر المبتدا رغبة
في حمل المخاطب على قبول الحكم المسند اليه وتقريره في نفسه لعظم شأن
المبتدا ورسوخ مكانته في القلوب كقول الواعظ ايضاً كتاب الله يأمركم
بكذا وكتاب الله يأمركم بكذا الخ . وكقول غيره الامير امرني ان اقول
لكم كذا والامير امرني ان اقول كذا الخ وهو ظاهر المتأمل انما معني من
الاستشهاد له عدم توصلي الى اقوال الخطباء في امثال هذه المواقف لندرة
ما هو منقول اليها عنهم

(٤) الاستلذاذ بذكره كقول الشاعر

بالله باظيات الفاع فلن لنا ليلاي منكن أم ايلي من البشر

والفرق بين هذا الغرض والذي قبله انما هو في ان المبتدا « ليلي » على ماترى
والفائل قيس او من هو على شاكلته

(٥) الاحتياط لضعف الاعتماد على القرينة او على تنبيه السامع او فهمه ويقع ذلك كثيراً فيما اذا تعددت الاخبار او طالت وخيف غفلة السامع في رد المسند الى صاحبه وقد المعنا اليه سابقاً واعلم ان اغراض الذكر المارة لا تختص بالمبتدأ بل تكون فيه وفي غيره كالمفعول به والمجرور والمنادى واللييب اذا احسن اعتباره لا يخفى عليه المواضع الثلاثة بها

— المسند اليه على العموم —

— تعريف المسند اليه وتنكيره —

﴿ هذا الفصل ننقله بحرفه عن عقود الجمان للإمام الحافظ ﴾
﴿ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رحمه الله ﴾
قال هذا الامام رحمه الله في شرح ارجوزته (وقد تركنا الايات استغناءً عنها بشرحها) . البحث الثالث في تعريفه وذلك لنكت تظهر من جهة التعريف لانه اما بالاضمار وذلك لكون المقام للتكلم او الخطاب او النغية مثال الاول قوله

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضىنا
والثاني قوله . وأنت الذي أخلتني ما وعدني واشمت بي من كان فيك بلوم

والثالث قول أبي تمام

بين اي اسحق طالبت يد العلا وقامت فناء الدين واشند كاملة
هو البحر من أي النواحي أنبت فليجئ المعروف والجود ساحه

والاصل في الخطاب ان يكون لمعين مفرداً او مثني او جمعاً وقد لا يقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو «فلان لثيم ان اكرمه اهالك وان احسنت اليه اساء اليك» فلا تريد به مخاطباً بعينه بل تريد ان اكرم او احسن اليه فتخرجه في صورة الخطاب ليعم فان معاملته لا تخص بواحد دون آخر . ومنه قوله تعالى «ولو ترى اذ وقفوا على النار» ونحوه من الآيات اخرج في صورة الخطاب ليعم اذ المراد ان حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يخص براء دون آخر فلا يخص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأق منه الرؤية فله مدخل فيه . وكذلك حديث «بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه ابن ماجة ونحوه من طرق التعريف العلمية وذلك لنكت . منها احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص به فاحترز بعينه اي شخصه عن احضاره باسم جنسه وباسمه عن احضاره بضميره او اشارة او غيرها مثال ذلك قوله تعالى «قل هو الله أحد» ومنها الكتابة عن معنى يصلح له العلم نحو «ابو لب فعل كذا» كناية عن كونه جهنمياً . ومنه تعظيمه او اهانتة لكونه من الاعلام المحموده او المذمومة . ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به

من طرق التعريف كونه موصولاً وذلك لنكت . منها زيادة التقرير نحو «وراودته التي هو في بيتها» عدل عن اسمها وهو زليخا او راعيل زيادة لتقرير المراودة بذكر السبب وهو كونه في بيتها وقال الفرزدق

أنجبني بين المدينة والني بها رقاب الناس بهوي منيها
اي مكة وعدل زيادة للانكار مشيراً الى ان هذا المكان لا يصلح الا

للالنابة والخضوع لا للتجبر والعدوان . ومنها التفخيم نحو « فغشيتهم من اليم
ما غشيتهم » . ومنها كون المخاطب لا يعلم من احواله شيئاً غير الصلة كقولك
« الذي كان معنا امس رجل عالم والتي اهداها اليك فلان بعملة » وهي الناقة
القوية المحولة . ومنها استهجان ذكر الاسم اذا كان مما يستهجن وله صفة كمال
كقولك « الذي يعلم الفقه رجل نبيه » ومنها تنبيه المخاطب على خطاه كقولك
ان الذين نروهم اخوانكم يشنى غليل صدورهم ان تصرعوا
ومنها الاشارة الى وجه بناء المسند على المسند اليه بان يذكر في الصلة ما
يناسبه نحو « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان
الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لـ « ناد » سيدخلون جهنم داخرين
اي ذليلين الى الموصول وربما يكون ذريعة الى التعريض بتعظيم شأن
المسند وهو الخبر نحو

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

فان ذكر الصلة التي هي سمك السماء مشعر بتعظيم المبنى عليه وهو البيت
الذي بناه سامك السماء ورافعها او تعظيم غيره نحو « الذين كذبوا شعيباً
كانوا هم الخاسرين » فانه قصد تعظيم شأن شعيب (عم) ونحو الذي يرافقك
يستحق الاجلال والرفع فيه تعظيم المخاطب - وقد يكون ذريعة لسوى ما
ذكر كالاهانة نحو الذي يرافقك يستحق الاذلال والصنع وكالتسلية
كقول ابي العلاء

ان الذي الوحشة في داره تؤنس الرحمة في لحدّه

والتشويق الى الخبر كقوله

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
وذكر السكاكي والطبي من نكت الموصولية ان تكون ذريعة الى تحقيق
الخبر كقوله

ان التي ضرت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول
قال في الايضاح وفيه نظر لانه لا يظهر فرق بين الايماء الى وجه بناء الخبر
وتحقيق الخبر واجاب ابن السبكي عنه بان الفرق واضح فان الايماء الى وجه
بنائه ان يذكر ما يناسبه وتحقيقه ان يذكر ما يحقق وقوعه باي نوع كان
والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح
من طرق التعريف كونه اسم اشارة وذلك لنكت . منها ان يقصد
تمييزه اكل تمييز لاحضاره في ذهن السامع حساً بالاشارة كقول الفرزدق
في زين العابدين رضي الله تعالى عنه

هذا الذي تعرف البلغاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عماد الله قاطبة هذا النفي النفي الطاهر العلم

وكقول ابن الرومي

هذا ابو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شبان بين الضال والسلم
ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى انه لا يتميز له الشيء الا
بالاشارة اليه كقول الفرزدق يخاطب جريراً

اولئك آبائي فجئني بنظم اذا جمعنا يا جرير الجماع

ومنها بيان حال المشار اليه من قرب او بعد كقولك للقريب هذا زيد
وللبعيد ذلك زيد وذكرفي التلخيص وغيره التوسط وتركته لان المختارة

عندي تبعاً لسيبويه وابن مالك انه ليس لاسم الاشارة الا مرتبتان وان
مشينا على طريق اهل البيان امكن دخوله في العبارة . ومنها قصد تحقيره
بقربه كقوله تعالى حكاية عن الكفار « هذا الذي يذكركم الهتكتم » ومنها
قصد تعظيمه بالبعد نحو « ذلك الكتاب » ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو « ذلك
اللعين فعل كذا » ومثله الطيبي بقوله تعالى « فذلك الذي يدع اليتيم » .
ومنها التنبية بعد ذكر المشار اليه باوصاف قبله على انه جدير بما يرد عليه
من اجلها نحو اولئك على هدى الاية فذكر الاوصاف بعد الذين ونبه باسم
الاشارة على ان المشار اليه وهو (الذين) جدير بذلك . ومنها ان لا يكون
طريق الى معرفة المسند اليه الا باسم الاشارة وهذا من زيادتي وقد ذكره
السكاكي في المفتاح وبقي من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو « ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم »

التعريف بالالف واللام يكون لنكت . منها الاشارة الى معهود اما
لفظاً نحو فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كما ارسلنا الى فرعون
رسولاً فعصى فرعون الرسول او تقديرًا نحو وليس الذكر كالانثى اي ليس
الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت والذكر في قوله اني نذرت لك
ما في بطني محرراً لاستلزام التحرر بالذكر اذ لم يكونوا ينذرون تحرير
الاناث او حساً وهو مبصر كقولك لمن سدّد سهماً القرطاس او علماً نحو
« اذهما في الغار بالواد المقدس . اذ يبايعونك تحت الشجرة » ومنها الاشارة
الى نفس الحقيقة نحو « الرجل خير من المرأة » اي حقيقة الرجل من
حيث هي وقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وفول ابي العلا

والحل كالماء بيدي لي ضائع مع الصناء وبخفيها مع الكدر
وقد يراد بها واحد باعتبار عهديته في الدهن كقولك ادخل السوق حيث
لا عهد فان الدخول انما يكون في سوق واحد وكذا قولك ابتداء دخلت
السوق في بلد كذا وهذا في المعنى كالنكرة اذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب
فصار شائعاً بحسب الظاهر ولهذا يوصل بالجرم قال تعالى « وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار » وقال الشاعر

ولقد أمرت على التيم يسني فمضيت ثم قلت لا بعيني
ومنها استغراق الافراد اما حقيقة كعالم الغيب والشهادة اي كل غيب
وكل شهادة او عرفاً نحو جمع الامير الصاغة اية صاغة بلده لا كل
صاغة ثم الاستغراق في المفرد اشمل من الجميع ولذلك كان قولك لا رجال
في الدار يصدق اذا كان فيها رجل او رجالان بخلاف قولك لا رجل فيها
فان قيل افراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان
فالجواب ان الحرف انما يدخل عليه عند ارادة الاستغراق مجرداً مقطوع
النظر عن الوحدة والتعدد - .

تعريفه بالاضافة لتكت . منها ان تكون اخصر طريق والمقام يقتضي
الاختصار كقوله

مواي مع الركب البانين مصعد جنب وجناني بمكة موثق
فانه اخصر من قوله الذي اهواه او الذي قلبي اليه مائل والمقام مقتض
لذلك فان جعفر بن عتبة قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق وبعده
عجبت لمسراما واني نخلصت الي باب السجن دوني مغلق

ومما يدخل في الاختصار ان يغني عن تفصيل كقوله

اولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
فانه لو عددهم لطلال . ومنها تعظيم المضاف اليه نحو عبدي فعل كذا تعظيماً
لك بان لك عبداً او المضاف نحو ان عبادي ليس لك عليهم سلطان -
او خلاف هذين كقولي (اشارة الى ما في آيات الارجوزة) عبد امام
المسلمين عندك لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عندك . ومنها التحقير كقولك
عبد الحجام حضر

ومنها الاستغراق ولم يذكره قال ابن السبكي عجبت من اهل هذا
الشان كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من الاضافة وهي من ادوات
العموم كما ان اداة التعريف كذلك بل عموم الاضافة البلغ ومنها الاشارة
الى مجاز لطيف كقوله

اذا كوكب الخرقاء لاح بحمرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب
اضاف الكوكب الى الخرقاء يعني انها تنام الى طلوعه وقت الصبح فعند
ذلك تشعر بالبرد فتفرق غزلها على القرائب ذكره السكاكي . ومنها الترقق
ذكره السكاكي ايضاً كقولك نعبك على الباب

البحث الثالث في تنكيره وذلك لامور منها الافراد نحو « وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى » اي رجل واحد . ومنها النوعية بان يراد به نوع
مخالف للانواع المعهودة نحو « تلى ابصارهم غشاوة » اي نوع غريب من
الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي لا من الغشاوات .
ومنها تعظيمه بمعنى انه اعظم من ان يعين . ومنها التحقير بمعنى الخطاط شانه

الى حد لا يمكن ان يعرف واجتماعا في قوله
 له حاجب في كل أمر بشيئة وليس له عن طالب العرف حاجب
 اي له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم . ومنها
 التكثير بمعنى ان ذلك الشيء كثير حتى انه لا يحتاج الى تعريف نحو « ان
 له لا بلا وان له لغنا » وقوله تعالى « قالوا ائنا لأجرأ » . ومنها التقليل نحو
 « ورضوان من الله أكبر » اي رضوان من الله قليل أكبر . وقد يجتمع
 التعظيم والتكثير نحو « فقد كذب رسل من قبلك » اي رسل عظام ذوو
 عدد كثير . وقد ينكر غير المسند اليه للتعظيم نحو « فأذنوه بحرب من الله »
 وللتحقير « نحن ان نظن الا ظناً » وللنوعية والافراد واجتماعا في قوله تعالى « والله
 خلق كل دابة من ماء » ولقصد العموم بعد النفي لان النكرة في سياق النفي
 تعم وهذا وما بعده من زيادتي . وللتجاهل وايهام انك لا تعرف شخصه
 كقولك « هل لكم في حيوان على صورة انسان يقول كذا » او ان لا يعرف
 المتكلم والسامع من حقيقته غير ذلك .

(انتهى بلفظه عن عقود الجمان طبع مصر بالمطبعة)

(الشرقية سنة ١٣٠٥ من وجه ١٤ - ١٨)



— ﴿ اتباع المسند اليه وفصله على العموم ﴾ —

المسند اليه المبتدا او الفاعل يُتبع او يُقيد لاغراض نشير اليها تنبيهاً للمطالع فمنها تقييده « بالوصف او بالحال » والغرض من ذلك مع غير الاعلام قد يكون

(١) لتصحيح الاسناد بالنظر الى المعنى كقولك « الحيوان الناطق سيد المخلوقات الارضية » فانه لولا قيد النطق لكان الاسناد فاسداً وبعبارة اخرى كانت القضية عارية عن الصحة كما لا يخفى ومثل ذلك قول المتنبي والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكرم في الاملاق فانه لولا قيد الحال (في يد اللئيم) لفسد معنى الاسناد لان الغنى لا يقبح على الاطلاق انما يقبح في يد اللئيم ومثله قولنا « العالم المخالف لمقتضى علمه شرٌّ من الجاهل » فانه لولا قيد المخالفة لمقتضى العلم لفسد المعنى في الاسناد فقس عليه امثاله

(٢) للكشف عن امره تخصيصاً له فتكون فائدة الاسناد اتم وبياناً لكون ما نسب اليه من القول او الفعل حرياً بأن يصدر عن مثله نحو « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه انقلبون رجلاً آن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الخ » فان هذه النعوت كشفت عن امر الرجل فكان الاسناد معها اتم فائدة منه بدونها ثم ان انكاره على آل فرعون ما هموا به من قتل الرجل للسبب الذي ذكره وتقييده عليهم هذا القصد حريٌّ بأن يصدر عن رجل موصوف بالايان ولو ترك من غير هذا القيد لتبادر الى الذهن السؤال عن غاية هذا الرجل في اقدامه على مخالفة قومه

محاماة عن رجل لا يعرفه ولا استُغرب منه صدور هذه المحاماة كل الاستغراب فكفى قيد الوصف هذه المؤونة كلها

(٣) قصداً للتعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد كقولك تعريضاً

في رجل نصب للفتوى وهوليس من ذويها «الرجل البخيل الذي يميل مع هوى النفس لا يصلح للفتوى» فان في الوصف بالبخل والميل مع هوى النفس فيه ما فيه من التعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد

(٤) قصداً لتعظيم احد متعلقات الفعل غير الفاعل او لتحقيره فضلاً

عن جعل الاسناد اتم فائدة بالوصف كقولك «اليوم زارني رجل من اعظم العلماء» وكقولك «لا ترى في دار زيد غير الخليع الماجن او المنافق المداهن» وغير ذلك من الاغراض التي لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في الكلام البليغ ولا يفوته ان يودعها كلامه في المقامات اللائقة بها

واما مع الاعلام فالغرض من الوصف الايضاح ارفع الاشتراك نحو «وقال ابراهيم الخليل» او التفصيل بياناً للمواقع كجاء زيد راكباً مثلاً والاً فلمدح المسند اليه او ذمه او تعظيمه او تحقيره او للترغيب فيه او للتنفير منه وبلاغة المتكلم انما تكون في اختيار الوصف المناسب لاحد هذه الاغراض المارة وهذا من اسرار البلاغة الموقوفة على حسن الذوق وذكاء الطبع لا على التعليم والتلقين

— ❖ توكيد المسند اليه ❖ —

يؤكد المسند اليه اما بتكرار لفظه والغرض من ذلك التقرير ارفع توهم

المجاز واما بواسطة النفس والعين وكل وكلا وكلتا وجميع وما في معناها والغرض من ذلك رفع توهم المجاز مع النفس والعين ورفع توهم عدم ارادة اشمول مع ما سواها وكل ذلك مبسوط في كتب النحاة الا ان العلامة ابن الاثير في كتابه المثل السائر طبعة بولاق (صفحة ٢٦٣) عقد باباً في توكيد الضميرين نورد منه بحرفه ما لا مجال فيه للاعتراض عليه قال :

« ان قيل في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحاة فاي حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم ان النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة واولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وان المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك واما انا فاني اوردت في هذا النوع امراً خارجاً عن الامر النحوي واعني بقول توكيد الضميرين ان يوكد المتصل بالمنفصل كقولك « انتك انت » او يوكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك « انت انت » او يوكد المتصل بمتصل مثله كقولك « انتك لك لعالم انتك انتك لجواد » وانما يوثق بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من اسرار علم البيان (ولتقدم في ذلك قولاً يحصره ويجمع اطرافه فنقول) اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في توكيد احد الضميرين فيه بالاخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ ان يوكد احد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقريره وثبتيته (فما جاء من ذلك) قوله تعالى « قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين » فان ارادة السحرة الالتقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في انفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم

موسى بئله الى توكيد ما هو لهم باضميرين اللذين هما (نكون ونحن) دل ذلك على انهم يريدون التقدم عليه واللقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى بئله ان كانوا قالوا « اما ان تلقى واما ان تلقى » لتكون الجملتان متقابلتين حيث قالوا عن انفسهم « واما ان نكون نحن الملقين » استدل بهذا القول على رغبتهم في اللقاء قبله (—) واما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى « فاجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى » فتوكيد الضميرين ههنا في قوله تعالى انك انت الاعلى انفى للخوف من قاب موسى واثبت في نفسه للغلبة والقهر ولو قال « لا تخف انك الاعلى او فانت الاعلى » لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله انك انت الاعلى (في هذه الكلمات الثلاث) وهي قوله انك انت الاعلى ست فوائد (ذكرها هذا العلامة فراجعها في محلها ثم قال بعد ان فرغ من تعدادها)

« وربما وقع لبعض الاغمار ان يعترض على ما ذكرناه في توكيد احد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما ابلغ من الاختصار على احدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو اولى بما هو ابلغ واؤكد من القول . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تخصص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها احد الضميرين دون الآخر كقوله عز اسمه « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ولم يقل انك انت على كل شيء قدير فما الواجب لذلك ان كان توكيد احد الضميرين بالآخر ابلغ من الاختصار

على احدها (الجواب عن ذلك) انا نقول قد قدمنا القول في اوّل هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخيرٌ في توكيد احد الضميرين بالآخر فان اكد فقد اتى بفضل بيان وان لم يوكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفنقري تقريره الى زيادة تأكيد كهذه الآية المشار اليها وهي قوله تعالى اللهم مالك الملك فان العلم بان الله على كل شيء قدير لا يفنقر الى تأكيد يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكداً كقوله تعالى «واذ قال الله يا عيسى بن مريم اأنت قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب» فوكد في هذه الآية ولم يوكد في الآية الاخرى وقد عرفت ان الطريق في ذلك واما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى ان يوكد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله تعالى «قلنا لا تخف انك انت الاعلى» فان موسى لم يكن متيقناً انه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون البغ في تقرير ذلك في نفسه» (انتهى ما نلقاه عن هذا العلامة بحرفه)

واما توكيد المنفصل بمنفصل فقد اشتبه فيه على هذا العلامة كما يؤخذ من امثله فانها ليست من باب التوكيد على ما هو ظاهر من اعرابها انما هي من الاخبار عن المبتدا المعرفة بلفظه فانه استشهد بابي تمام حيث يقول
لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الاوطار
وبابي الطيب حيث يقول

فيل أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهام
وبما جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج في خبر عمرو بن ربيعة وزياذ بن
المهولة وما كان من قول الثاني الاول «لوصرتم بابني شيبان الرجال كما
تصرعون الابل لكتم انتم انتم» والامثلة جميعها هي من باب المبتدا والخبر لا
من باب التوكيد كما ترى . والذي يظهر لي ان توكيد المنفصل بمثله يكثر
في الخطب والمشافهات ويقل جدًّا في الكتب والمراسلات وذلك لان
الصوت ينبه النفس وبوصل اليها من انفعالات التكلم ما لا يتنبه له بمجرد
رؤية صورة اللفظ فالواظ او الخطيب في القوم مثلاً يتاتي له ان يقول
«انتم انتم الذين انقدتم الى زخرف الدنيا» او ان يقول «انتم انتم الذي بدأتم
بهذا العمل المجيد وانتم انتم اولى باتمامه من جميع الناس» فيؤدي بغنة صوته
عند لفظ الضمير في المثال الاول من الاستكراه ومواجهتهم بالانكار ما لا
تفطن النفس لمثله برؤية صورة الضمير مكرراً وفي المثال الثاني من
الاستحسان ومواجهتهم بالاعتراف بحسن الصنع ما لا يعرف مقداره الا من
سمع كلام الخطيب ورؤية وجهه . وكذلك فيما لوقال «نحن نحن المصريين
شدنا في غابر الايام ما لم يشده غيرنا من الامم» او «هم هم (اعني اسلافنا)
مصرروا الامصار واختطوا المدن وسنوا الشرائع والاحكام»

واما الاخبار عن المبتدا المعين بلفظه على ما رأيت في الامثلة التي
ذكرها العلامة ابن الاثير وكقولك «زيد زيد» «وودادي وودادي»
فيعتبر فيه ثلاثة اعتبارات لا انتهاء في الاخبار بغيره مع البلاغة المرادة في الكلام
(١) البقاء والاستمرار على الحالة التي كان عليها كقول الكتاب

« يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد » اي يسوع المسيح باق لا يتغير
 انخ الا ان الاخبار بقولنا (هو هو) فيه من المبالغة والايجاز ما يشهد لنفسه
 (٢) ان المبتدأ متصف بصفة بالغة مبالغها بحيث لا تماثل بغيرها
 ولا يليق الاخبار عنها الا بها كقوله « لو صرتم يا بني شيبان الرجال كما
 تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » اي لكانت شجاعتكم او شدتكم بالمكان
 الذي لا يعرف الا بكم

(٣) مجموع الاعتبار الاول والثاني كقول الامام ابن الفارض
 رحمه الله

فغرامي القدم فيكم غرامي وودادي كما عهدتم وودادي
 أي ان كلاً من غرامي وودادي باق لا يتغير وهو ايضاً بالمكان الذي لا
 يشبه بغيره ولا يرى الاخبار عنه الا بنفسه والله اعلم

❖ تقييد المسند اليه بعطف البيان او البدل او العطف ❖

جاء في عقد الجمان للرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في فصل
 اتباع المسند اليه وفصله ما نصه « واما بيانه فلا يضاحه باسم مختص به نحو
 « قدم صاحبك عثمان » واما الابدال منه فلزيادة التقرير نحو « جاء اخوك
 زيد » في بدل الكل و « سقط البيت جانبه » في بدل البعض و « راعني
 الفارس رحمه » في بدل الاشتمال واما بدل الغلط فلا يقع في كلام البلغاء .
 واما العطف عليه فلتفصيله مع اختصار نحو « جاء زيد وعمرو » او لتفصيل
 المسند كذلك نحو « جاء زيد ثم عمرو » فان في الاول تفصيلاً للمسند اليه

بكونه متعددًا وفي الثاني تفصيلاً للمسند بكونه واقعاً على الزئيب اولرد السامع الى الصواب نحو « اتى زيد لا عمرو » او صرف الحكم عن المحكوم عليه الى آخر نحو « جاء زيد بل عمرو » او الشك او التشكيك نحو « حضر زيد او عمرو » (وقال ايضاً) واما فصله بالعماد فلتخصيصه بالمسند منفرداً به نحو « اولئك هم المفلحون » او التوكيد الحكم نحو « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله » انتهى بحرفه

والذي ذكره هذا العلامة انما هو خلاصة ما ذكره اصحاب هذا الفن في كتبهم المعروفة والمتداولة بين الايدي الا اني اقول ان على الكاتب مراجعة ما لحروف العطف من المعاني وما انفرد به كل منها عن غيره في شرح ارجوزته (نار القري) او في المصنفات التي من طبقتها فانت معرفة ذلك لا بد منها للكاتب ليحسن استعمال هذه الحروف في مواقعها اللائقة بها وهو اذا عرف معانيها فقد يهتدي الى كثير من الاغراض البانية المرادة من العطف بها

واعلم ان التقييد بعطف البيان والبدل قد بوّدى به اغراض اخرى غير ما ذكر فانظر الى بيت المتنبي حيث يقول

بفدي أتم الطير عمراً سلاحه نسور الفلا أحداها والفساح

ترصحة ما ذكرنا فان نسور الفلا عطف بيان على اتم الطير عمراً وهو من قبيل الايضاح بعد الابهام وقد تم له غرض آخر غير ارادة الايضاح بعد الابهام وهو وصف انسور بانها اطول الطير عمراً على اخصر طريقة ووقعها في النفس ولو عدل عنه الى صريح الوصف فقال بفدي « سلاحه النسور

التي هي اتم الطير عمراً النقص من حسن الكلام وروثه ما يدرك ببديهة
الذوق . وقد ابدل ايضاً احداثها والقشاعم من نسور القلافتها له بذلك
الدلالة على الشمول وتها له مع هذا غرض آخر بمكان من الدقة والحسن
وهو ان الاحداث والمنقدمات في السن تساوت في تفدية سلاحه وذلك
لان احسانه اليها كان من الشهرة والوضوح بحيث ادركته صغارها
وكبارها معاً . ومثل قول المتنبي قول ابي العلا

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف وأقدام وحزم ونائل
فانه اوضح بعد الابهام وعليه القول المتعارف « اثنان لا يشبعان طالب علم
وطالب مال »

واعلم ان اكثر اغراض اتباع المسند اليه لا تختص به وحده بل
تجري في غيره من الكلام ايضاً كالمفعول به والمضاف اليه والمجرور
واليك قوله

ديوان من حاز الرشاقة في الكلام اي نواس
فان « ابي نواس » بيان للموصول او بدل منه وفيه الايضاح بعد
الابهام كما لا يخفى



❖ فصل المسند اليه ❖

والمراد بذلك ان يتوسط بينه وبين الخبر ضمير الفصل على ما تراه مبسوطاً في شرح ارجوزة المرحوم العلامة الشيخ ناصيف البازجي (ضمير الفصل وكاف الخطاب) وخلاصة هذا الفصل ان اصل استعمال هذا الضمير انما كان للترقية من اول الامر بين الخبر والتابع الا انهم توسعوا فيه حيث لا يقع الالتباس المذكور . وشرط استعمال هذا الضمير اذا كان للفصل ان يقع بين المعرفتين كقولك « زيدٌ هو الكريم » و « كانت بابل هي المدينة الاولى » او ما هو شبيه بالمعرفتين كقولك « ليس احد هو احسن من زيد » فاذا اريد به التخصيص او التوكيد لا الفصل نحو « ولكن كانوا هم الظالمون » ونحو « انت علام الغيوب » و « اخي هرون هو افصح مني لساناً » لم يحتج الى شرط التعريف المار ذكره وقد يحتمل في هذا الضمير احياناً اجتماع الاغراض الثلاثة نحو « واولئك هم المفلحون » فانه يحتمل الفصل والتخصيص والتاكيد . وهو بجملة لا يقع الا بين المبتدا والخبر في الحال او في الاصل والخبر بعده يكون غالباً مصحوب (ال) او (افعل التفضيل) والمهم في البلاغة الاتيان بهذا الضمير عند الحاجة اليه سواء كان الغرض به الفصل او التخصيص او التاكيد فلا يشبه عليك مواقع استعماله فان الاتيان به حيث لا داع اليه من المخلات بمقتضى البلاغة فراجع في باب الذي ذكرناه واعتبر مع ما تراه هناك ما نقلناه من كلام العلامة ابن الاثير في باب التوكيد بالضميرين

❖ باب القصر ❖

❖ في تحديده ❖

القصر تخصيص شيءٍ بآخر كقولك « وكان الجمع ما يزيد عن الخمسين رجلاً فما تكلم أحدٌ منهم إلاَّ زيدٌ » أي اخلص الكلام بزيد فلم يتجاوزهُ الى غيره من الخمسين وكقولك « لا اله الاَّ الله » أي ان الالهية مخصصة بالله تعالى لا تتجاوزهُ الى غيره اصالةً وكذلك قولك « ما خاطب الامير احدًا من الجمع الاَّ زيداً » أي اخصت مخاطبة الامير بزيد لم تتجاوزهُ الى غيره من ذلك الجمع والمقصور في الجملة الاولى (التكلم) والمقصور عليه (زيد) وكذلك في الثانية فانَّ (الالهية) المقصور (والله) المقصور عليه وهكذا في الثالثة فان المقصور (مخاطبة الامير) والمقصور عليه (زيد)

❖ في انواع القصر ❖

القصر نوعان حقيقيٌّ وهو ما يتجاوز فيه المقصور الى غير المقصور عليه اصلاً كقولك « لا اله الا الله » فان الالهية وهي المقصور لا تتجاوز اصلاً الى غير الله تعالى وهو المقصور عليه وبعبارة اخرى انه لا يتصف بها احد سواه

ويلتحق بالقصر الحقيقي القصر على سبيل المبالغة كقول الشاعر

لا سيف الا ذو النثار ولا فتى الا علي

والمعنى ان ذا الفقار بالغ صفة تراد بالسيف الى حد لا يشاركه فيه غيره من السيوف وكذلك الفتوة في علي فانها بالغة الى حد لا يشاركه فيه احد من الفتيان وبناءً على هذا الاعتبار قصرنا اسم السيف على ذي الفقار واسم الفتى على علي مبالغة كانه لا يجوز ان يسمى سيفاً الا هذا ولا فتي الا ذاك والفرق بين هذا القصر والقصر الحقيقي واضح ويزداد وضوحاً في قولك «لا شاعر الا زيد» وفي قول المتنبي

ليس الا ابا العتاش خلقي ساد هذا الانام باستحقاق

فاننا اذا اعتبرنا القصر حقيقة في المثال الاول كان المعنى ان صفة الشاعرية لا توجد في غير زيد اصلاً بخلاف اذا اعتبرناه على سبيل المبالغة فان المعنى حينئذ ينصرف الى اننا مبالغة لكامل هذه الصفة في زيد اعتبرناها كانه لا توجد في غيره فقصرناها عليه واما قول المتنبي فالمبالغة ظاهرة فيه ولو اراد الحقيقة لعتب عليه بمدوحه سيف الدولة وغيره من بقية المدوحين والنوع الثاني اضافي وهو ما لا يتجاوز فيه المقصور الى معين غير المقصور عليه وإن كان يمكن ان يتجاوزه الى غير ذلك المعين ولنضرب لك مثلاً نبين فيه معنى هذا الحد فنقول اذا دار بينك وبين غيرك كلام في الشعراء فزعم غيرك ان زيدا وعمراً كلاهما شاعر وزعمت انت ان احدهما شاعر دون الآخر وارتد افرادك فانك تقول حينئذ «ما شاعر الا زيد» اي ان الشاعرية لا تتجاوز زيدا الى عمرو وان امكن ان تتجاوزه الى غيره ممن لم يدخل في مدار الكلام بينكما فهذا هو القصر الاضافي ومرجعه منظور فيه الى اعتقادك واعتقاد المخاطب لا على الإطلاق وهو

من هذه الحيثية يقسم الى ثلاثة اقسام يعرف كلٌ منها باسم مختص به عند البيانين فاحدهما (قصر افراد) وهو ما ذكرناه والثاني (قصر تعيين) كما اذا كان المخاطب يردُّ الشاعرية بين زيد وعمرو لا يدري ايها متصف بها فقلت له ما شاعرُ الأ زيد والثالث (قصر قلب) كما اذا كان يعتقد ان الشاعر عمرو وتعلم انت ان الشاعر زيد لا عمرو فقلت (ما شاعر الأ زيد)

﴿ انواع المقصور ﴾

المقصور نوعان اما صفة على موصوف كقولك « لا اله الا الله » في القصر الحقيقي او « ما شاعرُ الأ زيد » في القصر الاضافي على انواعه الثلاثة واما موصوف على صفة وهذا لا يكون الا على سبيل المبالغة او الاضافة كقولك « ما زيد الا شاعر » فان القصر على سبيل الحقيقة متعذر لان مدلوله أن زيداً لا يتصف الا بصفة الشعرية وهذا خلاف الواقع فلتصحح الاسناد لا بد من اعتبار القصرانه على سبيل المبالغة او انه قصر اضافي على نوع من انواع الثلاثة وفي ما ذكرناه كفاية



❖ طرق القصر وادواته ❖

للقصر ثلاث طرق (الاولى) ما دلت عليه بالوضع وادواتها النفي والاستثناء نحو «لا اله الا الله» وكقولك «ما شاعر الا زيد او ما زيد الا شاعر» سواء كان القصر على سبيل الحقيقة او المبالغة او على سبيل الاضافة والمقصود عليه في هذه الطريقة يقع دائماً بعد (الا) ومثل النفي والا (انما) فانها تقوم مقامها في قصر الموصوف على الصفة او الصفة على الموصوف في جميع انواع القصر الا ان بينهما فرقين في الاستعمال احدهما ان المقصور عليه بانما متأخراً دائماً عن المقصور كقولك «انما شاعر زيد» و«انما زيد شاعر» فالتأخر منهما هو المقصور عليه وثانيهما انه يصح العطف بلا بعد (انما) ولا يجوز ذلك بعد (النفي والا) اصلاً كقولك «انما جاء زيد لا عمرو» و«انما كاتب زيد لا شاعر» و«انما جاء زيد راكباً لا ماشياً» او «انما جاء راكباً زيد لا عمرو» هذا في القصر الاضافي و«انما زيد كاتب لا غير» و«انما كاتب زيد لا غيره» في المبالغة و«انما الله اله لا غيره» في القصر الحقيقي

(الثانية) ما دلت عليه بالمنطوق او بصرح اللفظ وادواتها (لا) في الايجاب و (بل) في النفي كقولك «فقيه زيد لا شاعر» وناقلاً لا مبتكراً و«قام زيد لا عمرو» و«رأيت زيدا لا بكرة» و«ليس زيد طبيباً بل فيلسوف» و«ما شاعر بكر بل فقيه» وهذه الطريقة خاصة بالقصر الاضافي كما ترى بخلاف الاولى فانها تتناول جميع انواع القصر

(الثالثة) ما دلت عليه بالمفهوم وليس لها ادوات لفظية انما تقوم بتقديم ما حقه التأخير كقولك « في الدار زيد » و « لزيارة اخيه جاء زيد » و « راكباً جاء زيد » ونحو ذلك من الامثلة . على ان هذه الدلالة على القصر ليست وجوبية كدلالة صاحبيتها عليه ولا بد معها من انتفاء المعارض فانه مع وجوده لا تفيد القصر اصلاً وكذلك اذا دلت قرينة على ما ينفي القصر فانه لا يبقى للتقديم دلالة عليه كقولك مثلاً « يا بني اوصيك بهذا جارك لا تشاتمته ورئيسك لا تقاومه واقرى منك لا تخصمه » فانه ليس في هذا التقديم ما يدل على القصر ولو دل عليه لكان مفهوم الجمل ما ياتي او نحوه « جارك لا تشاتمته بل شاتم غيره ورئيسك لا تقاومه بل قاوم غيره واقرى منك لا تخصمه بل خاصم غيره » وفساد هذا المفهوم اظهر من ان يوضح وذلك لان العقل والشرع والعادة جميع هذه تحظر على الموصى ان يشاتم غير جاره او أن يقاوم غير رئيسه او ان يخصم كفؤه او من هو اضعف منه . نعم في هذا التقديم ما يدل على الاختصاص وهو ايقاع الحكم على متعلقه (اي الاختصاص) لاهميته معه بقطع النظر عن غيره او القصد افراده بخصوصية لا تكون لذلك الغير في شيء مشترك بينهما وعليه فمفهوم هذه الجمل مع الاختصاص يقارب قولنا « اوصيك بترك مشاتمة جارك خصوصاً وكذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك لما فيه من الاهمية لك » او « اوصيك بترك مشاتمة جارك وان مع الاسباب التي تحملك على المشاتمة مع غيره وكذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك »

وقد عدوا من طرق القصر تعريف المسند والمسند اليه معاً كقولك
« زيد الكريم وانت الامير » وعدوا ايضاً توسط ضمير الفصل نحو « فالله هو
الولي » ونحو « اصحاب الجنة هم الفائزون » وكذلك تقدم المسند اليه الزكرة
كقولك « رجل جاءني » وفي هذه كفاية للتدبر فانه لا يصعب عليه ان
يقيس مالم نذكره بما ذكرناه

(تنبيه) قرأت للامام السبكي رحمه الله كلاماً في الفرق بين
الحصر والاختصاص فليراجع في كتاب الاتقان في علوم القرآن طبع
المطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٧٩ الجزء الثاني وجه ٦٣ - ٦٥)

